

دكتور عُمَرُ فَرُوح

پاکستان دَوْلَتِ سَتَعِيشِ



الباکستان کات خیال شاعر
فاضحت وطناً للکرامۃ والحریۃ



دار الکشاف للنشر والطباعة والتوزيع

rukhh

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ



رابطہ بدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



پاکستان دولة ستعيش

الباكستان كانت خيال شاعر
فاصبحت وطناً للحرية والكرامة

عزفروغ

ذكتور في الفلسفة

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي



دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

١٩٥١

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع
بمبائ

11298D

M66 8/9/52

الطبعة الاولى

٩٥١ / ٤١

954.7

F24

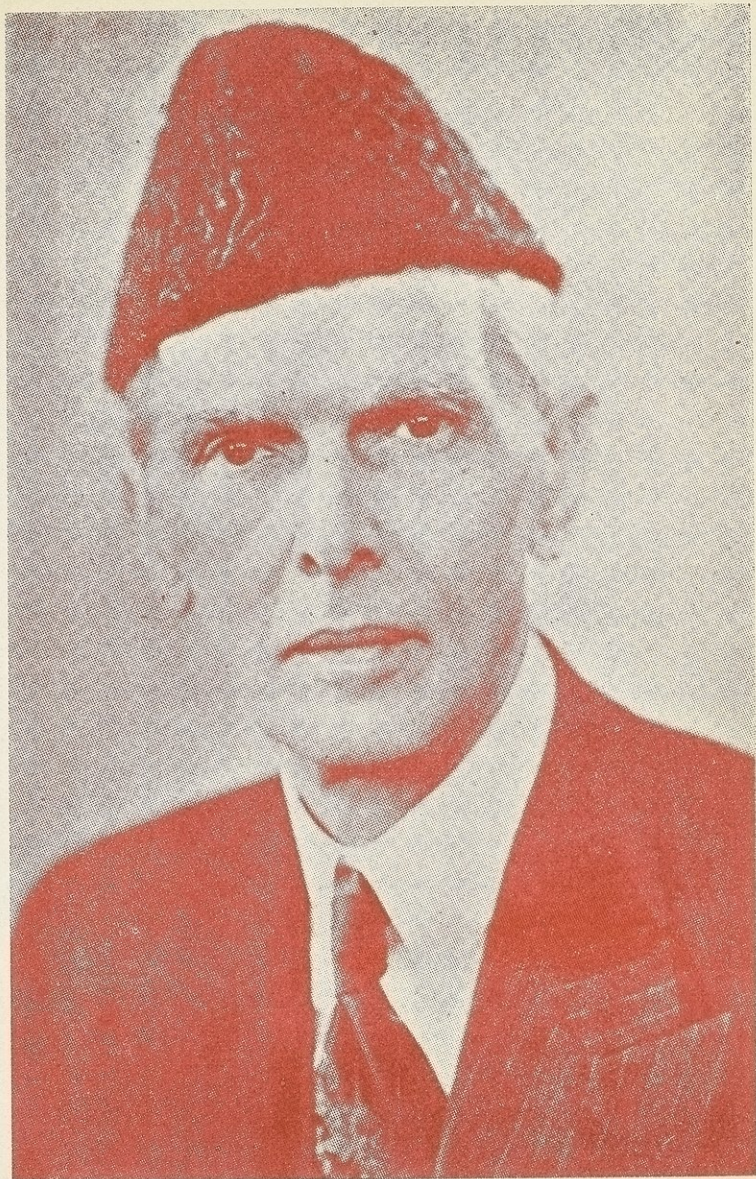
جميع الحقوق محفوظة

11298 D

بيروت

رجب ١٣٧٠ - نيسان ١٩٥١

COLUMBIA
UNIVERSITY

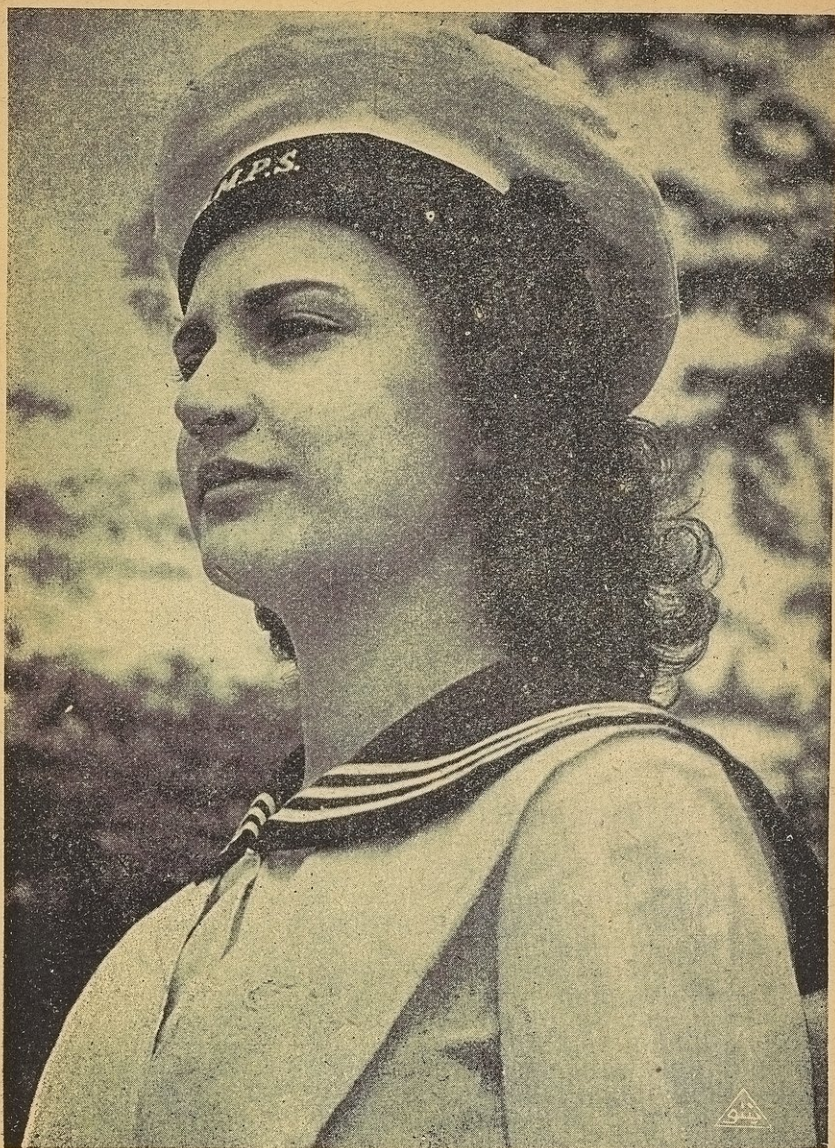


القائد الاعظم محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان ورئيسها الاول

الفتاة

*

إِلَى الْفَتَاةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي يَنْتَظِرُ الْغَدُ مِنْهَا أَنْ تَحْمِلَ التَّبِعَةَ
فِي سَبِيلِ تَنْشِئَةِ جِيلٍ جَدِيدٍ قَوِيٍّ
يَتَذَكَّرُ مَجْدَ الْمَاضِي فَيَمْحُو عَارَ الْحَاضِرِ
وَيُحَسِّنُ بِنَاءَ الْمُسْتَقْبَلِ



فتاة من المتطوعات في الاسطول الباكستاني

الكلمة الاولى

نبتت الفكرة الاولى لوضع هذا الكتاب حينما ذهبت الى باكستان لحضور الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي في شباط عام ١٩٥١ . ولما عدت اتفق ان ألقيت بعد ظهر الثلاثاء في الثالث عشر من آذار كلمة في كلية البنات لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت بدعوة من جمعية السيدات والحريجات فيها . وقد جعلت عنوان تلك الكلمة يومذاك : « باكستان دولة الغد » . تلك الكلمة كانت الحطوط الكبرى الاولى التي بنى عليها هذا الكتاب فيما بعد .

*

إنني أرجو ان أكون قد أدت عن قومي واجبا في ذلك المؤتمر ، وارجو أيضا ان أوّدي واجبا آخر في تحديث قومي بمحدث تلك الدولة الكبرى في الشرق : باكستان دولة الغد .

٢١ جادى الثانية ١٣٧٠

٣٠ آذار ١٩٥١

ع . ف

نحن العرب !

أقلتنا الطائرة من بيروت فسيحةً مريحة وفيها من العناية ما لا يجده الانسان عادة الا في البيوت المترفة . فهو في مكانه يطلب ما يشتهي فينال ، او يناله قبل ان يطلبه . وحابانا الجو ايضاً فلم تضطرب الطائرة في طيرانها ولا نفذ البرد من جدرانها . ولما انتصف الليل او كاد جاء من جعل المقاعد الوثيرة سروراً مرفوعة ، فران الكرى على العيون ثم اخذ بمعاقد الاجفان . وما هي إلا تسع ساعات لا لغب فيها ولا نصب حتى نزلت الطائرة في مطار كراتشي كما ينزل الندى في الرياحين . ولو ان أحدنا أراد أن ينتقل بالقطار او بالسيارة في قلب بيروت لناله من الاجهاد والعناء فوق ما ناله وهو سائر في طبقات الجوتسع ساعات متوالية على علو أربعة عشر الف قدم فوق سطح البحر .

ولما وطئت اقدامنا ارض المطار ابتدرنا اخوة يتشوقون للقائنا ، فحيونا بتحية الاسلام وحادثونا باللغة العربية ورحبوا بنا واحتفلوا ، وقاموا عنا بانهاء جميع

ولكن ما أن تنشقنا نسيم الراحة - ونحن بعد في
ارض المطار - حتى بدأ الكفران يظهر على اللسنة .
ففلان يقسم أنه لم يذوق طعم النوم مع ان غطيته كان
يقوم مقام فرقة موسيقية كاملة ، ولكن غير عذبة الانعام .
وجعل آخر يزعم انه لم ينعم بالنوم مع انه قد انبطح على
مقعدين ، ولم تستطع محركات الطائرة الاربعة ان تشعره
بانه موجود في الجو . ثم انه ظل على حاله هذه حتى
قامت آنسة الطائرة في صباح اليوم التالي فوق رأسه وهي
تحمل له في يدها كأساً من الشراب الساخن . وفتح
ثالث فمه بقوله : لقد بيست أرجلنا من طول ما مكثنا في
مكاننا لانتحرك ، مع انه ذرع الطائرة جيئة وذهابا عشر
مرات على الاقل . وتأفف رابع من طول الطريق وجعل
يقول : انها تسع ساعات ، تسع ساعات متوالية . ما
أطول الطريق وما أشق السفر !

*

كنت اسمع ذلك والذكرى تحماني الى اجدادنا الذين
قطعوا هذه المسافة مشياً على اقدامهم : يديرون في
شعاب الجبال المكسوة بالثلج او على رمال الصحراء
الحارة ، ويطأون على الصخور الناتئة او يخوضون المستنقعات
المتراوية ، وهم يحملون اسلحتهم على اكتافهم وينتقلون
في ارض اعدائهم : في بلاد لغتها ليست لغتهم ، ودينها

ليس دينهم ، وعاداتهم ليست عاداتهم ، وطعامها ليس طعامهم . وكان يقودهم يومذاك فتى عمره سبعة عشر عاماً هو محمد بن القاسم الثقفي الذي ارسله الحجاج بن يوسف ليفتح السند ففتحها ، فأصبحت بعد ذلك دار أمان للإسلام وللغة العربية .

فما أعظم إيمان أسلافنا وما أقله في صدور أحفادهم ، وما أحسن إيمان غير العرب اليوم !

الشرق الذي تغير

يتهم الغربيون الشرق بأنه لا يتغير . انهم يرونه هادئاً جامداً ميثناً لا حياة فيه البتة . كذلك كان في أيام الحروب الصليبية ، قبل ان يعرف العالم الطباعة والاسفار ، وكذلك لم يزل بعد ان 'كشفت اميوكة والاصقاع القطبية ومجاهل افريقية واسترالية ، وبعد اختراع التلغراف والراديو والبنيسيلين والقنبلة الذرية .

ويظهر ان لهذه التهمة ظلماً من الحقيقة في الشرق العربي . لقد ظل البترول يرد الى البلاد العربية عشرات الاعوام فنستضيء به ونستعمله في حاجاتنا المنزلية الاخرى من غير ان يعلم آباؤنا الاقربون ان هذا الذي يجري على وجه الارض في العراق مشتعلأ او غير مشتعل هو البترول . وكذلك كنا نسمع القصص العظيمة عن اكتشاف الذهب في صحارى اوسترالية وبقاع افريقية وبوادي

اميركة على عمق كبير ، يقاس احيانا بالكيلو متوات ، ثم لا يخطر ببالنا ان نكشف التراب عن عروق الذهب الممتدة تحت وجه الارض مباشرة في صحارى شبه جزيرة العرب وبلادها ، حتى جاء الاميركيون منذ سنوات فقط فاستنبطوا من تلك الصحارى أغزر آبار البترول واستغلوا أغنى مناجم الذهب في العالم كله .

وكذلك نظرنا نحن العرب الى بحيرة لوط نظرة المتأسف وسمينها البحر الميت ، ذلك لأننا لم نر فيها سمكا يقفز الينا مقلبا او مشويا . مع ان هذا البحر ، الذي نسميه نحن ميتاً ، هو في الحقيقة أشد بحار العالم حياة بما فيه من المعادن التي لا غنى عنها في الصناعة والزراعة . وبدأ اليهود منذ خمسين سنة يستخرجون من هذا البحر ثروات لا حصر لها فيحجون بها الارض بعد موتها أو يبعثون بها في الصناعة نشاطاً عظيماً ، بينما نحن لا نزال مصرين على ان نسمي هذا البحر نفسه « البحر الميت » .

*

على ان هذا الجمود قاصر لحسن الحظ على الشرق العربي وحده ، لا ينطبق على اليابان ولا على الباكستان ولا على اندونيسية . ونحن اذا امتنينا الدعوى الفارغة والتبجح بالباطل والتفاخر بالجهل والموبقات رأينا ان البلاد العربية عامة لا تستطيع ان تقيم الدليل على انها ارقى من سائر البلاد الشرقية غير العربية ، ولا انها لاحقة بها في ركب

*

إنني أريد ان أبسط في هذا الكتيب شيئاً من كفاح
الباكستان ومن نشاطها ، عسى ان يكون ذلك باعثاً
للقارئ العربي على التفكير الجدي في حاله اليوم وفي
ما يمكن ان تؤول اليه حاله غداً . فعسى ان نهيم لأبنائنا
واحفادنا عالماً احسن من العالم الذي نعيش فيه نحن اليوم .

مدينة كراتشي

والذي يعرف تاريخ مدينة كراتشي يذكر انها كانت
مصيدة للسماك على بحر العرب ، ثم اصبحت في القرن
الحاضر مطاراً . ولما انفصلت دولة الباكستان من شبه جزيرة
الهند عام ١٩٤٧ اصبحت كراتشي عاصمة الدولة الاسلامية
الجديدة . ولقد كان فيها يومذاك مائة وخمسون الف ساكن
كما قيل ، فاذا هي اليوم تضم مليوناً ونصف مليون من
السكان . ثم اذا هي في مظهرها الخارجي اوربية محضاً :
شوارع عريضة وحدائق غناء وابنية شاهقة . لقد تغير كل
شيء في الشرق الاقصى تغيراً كبيراً ، حتى التفكير في
الباكستان قد تطور تطوراً عظيماً فأصبح للدولة عندهم
معنى هو أرقى ما بلغ اليه النضج السياسي في العالم . أما
نحن العرب فلا نزال - بما نرى حولنا - نعيش في القرن
الثالث عشر للميلاد .

هم يعرفون ما هم فيه

يبتدرك الباكستاني اولَ ما تنزل ارضه ويقول لك : نحن أمة حديثة السن ، امة ولدت في الخامس عشر من شهر آبَ عام ١٩٤٧ ، فهي لم تتم عامها الرابع بعد . ثم انها ولدت على خلاف ما تلد عليه الامم : ولدت فقيرة جريحة مساوية مشرّدة تحمل على عاتقها اثني عشر مليوناً من اللاجئين .

لما بدأت انكلترة في الاستيلاء على الهند منذ مطلع القرن السابع عشر جعلت تحارب المسلمين حرباً لا هوادة فيها ، ثم قضت على امبرطورية المغول ، تلك الامبرطورية الاسلامية التي حكمت الهند بالعدل وادت فيها اعظم رسالة في العلم والعمران . ولم تكن شدة مراس المسلمين لتردع الانكليز عن عسفهم ، وما كان عسف الانكليز ليمنع المسلمين عن الدفاع عن كيانهم . ولست احب ان اشغل وقت القارئ بسرد فظائع استعمار معين ، فالاستعمار واحد في جميع صورته ، ولا تفاضل في الشر . واجتمع استبداد الهندوس وعسف الانكليز على المسلمين

ثلاثة قرون متوالية ، والمسلمون في الهند ربع سكانها ،
فكانوا من اجل ذلك مجبرين على احتمال الظلم بانواعه .
واخيراً بلغ الاضطهاد الذروة ووضع امام المسلمين انهم
يتحولون شيئاً فشيئاً حجاباً في الدولة وحمالين في الاسواق
وماسحي أذية على الابواب . وكذلك كان المسلمون
يقاتلون في الجيش المشترك قتال الابطال ويموتون .. ولكنهم
كانوا يرجون ان تكون شجاعتهم ووفائهم ثمناً لانصافهم
في الارض التي ولدوا فيها . وهكذا تبعثرت اشلائهم
في ارض الهند نفسها وفي خارج الهند : على ضفاف الراين
وفي سهول فلاندر وفي شبه جزيرة البلقان وفي فلسطين
والعراق وعلى ترعة السويس : اجل لقد ماتوا في آسية
واوروبة وإفريقية ، وكانوا نعم الجندي !

ولكن ما جنى مسلمو الهند بعد الذي ابدوه من
ضروب الشجاعة والحمية والشهامة والوفاء ، لا اقول من
الانكليز بل من اخوانهم الذين ولدوا معهم على اديم ارض
واحدة : على ارض امهم الهند ؟ لقد كان عليهم ان يكتفوا
بأن يكونوا جنوداً او ان يرقوا فقط الى الرتب الدنيا ، ثم
عليهم ايضاً ان يرضوا بذلك . اما القادة في الجيش فكانوا
من غيرهم .

*

وتسكاد قصة الباكستان كلها تتجلى واضحة في ذلك التجاذب
الطويل الذي تداول المسلمين بين حزبي المؤتمر والرابطة الاسلامية .

حزب المؤتمر - والرابطة الاسلامية

نشأ في الهند منذ عام ١٨٨٥ حزب عرف باسم « حزب المؤتمر الوطني ». كان هذا الحزب يجمع تحت لوائه القائلين بالقومية والذين يرضون منهم - في الوقت نفسه - ان تنال الهند استقلالاً ذاتياً داخلياً على مثال النظام السائد في عدد من المستعمرات البريطانية ، مثل كندا واستراليا مثلاً . ومع ان هذا الحزب كان يجمع ايضاً عدداً من المسلمين البارزين ، فان سياسته كانت سياسة بمائة لبريطانية وكان يكمن في ثماياها خطر عظيم على المسلمين في الهند .

وكان اول من فطن لهذا الخطر الداهم وادرك ان التعاون بين الهندوس والمسلمين مستحيل ، وان الضمان الوحيد لسلامة المسلمين ورفيهم ان يعيشوا في دولة مستقلة هو السير سيد احمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٩ م) ، احد اعظم المصلحين المسلمين في الهند ومؤسس جامعة عايبكره عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) .

ولم يطل الامر حتى بدأت مخاوف سيد احمد خان تتحقق ، وظهر في المؤتمر رجال من الهندوس يوجهون سياسته توجيهها هندوكياً صريحاً ، فلم يجد بعض اعضائه من المسلمين بداً من ان ينسحبوا منه . وهكذا تأسست الرابطة الاسلامية لجمع الهند عام ١٩٠٦ . وكانت غاية



السيد احمد خان

الجامعة الاسلامية ان توقظ
مسلمين في الهند الى
المطالبة بحقوقهم وحفظ
وحدتهم وكيانهم .
ومع هذا كله فان المسلمين
لم ينفصوا يدهم من
التعاون مع الهندوس
في سبيل الهند ، حتى
اولئك الذين انسحبوا
من حزب المؤتمر وأسسوا
الجامعة الاسلامية .

ولكن في عام ١٩١٧

اجتمع حزب المؤتمر في كالكوتا واتخذ القرار التالي :
« ان المؤتمر يروج ان يعلن جلالة الملك الامبراطور
باسم شعب الهند المتحد عن الطاعة البالغة والتعلق الشديد
والولاء المكين نحو العرش . وكذلك يعد بالوقوف الى
جانب الانكليز في الازمات مهما كلف ذلك من تضحيات » .
لقد كان هذا القرار ثمنا لاصلاح وعد به الانكليز
ثم نفذوه في عام ١٩٢٠ ، ولكنهم لم يزيدوا على ان
منحوا بعض الصلاحيات الداخلية الى حكام عدد من
المقاطعات الهندية . وظهرت الفائدة من هذا الاصلاح ضئيلة
جداً حتى ان الهندوس اعضاء حزب المؤتمر انفسهم لم يقبلوا

بها . ولكن المسلمين رأوا أن يتحدوا مع مواطنيهم في رفض هذا الاصلاح الناقص حياً بالهند ، على الرغم مما يضر الهندوس نحوهم ، فقاموا تحت قيادة الزعيمين المسلمين الكبيرين مولانا شوكت علي واخيه مولانا محمد علي وبالتعاون مع غاندي بركة العصيان المدني التي اعلنها

المؤتمر عام ١٩٢١ م .
 والتفت الانكليز الى المسلمين يحملونهم تبعة العصيان المدني ويسومونهم سوء العذاب انتقاماً وعدواناً . ان الانكليز لم يغفرو لمسلمي الهند مناصرتهم لتركية ولاسياستهم الاسلامية الرجعية الافق . وانقلب العصيان المدني بين المسلمين ثورة صاخبة فاحتمل المسلمون الحسائر في الاموال والانفس وامتلات بهم السجون .



مولانا محمد علي

ولكن كفاحهم كاد ان يززع اركان الامبراطورية البريطانية في الهند ، او هو زعزعها في ذلك الحين فعلاً . ومع ذلك

فقد عرف المسلمون بعد هذا ايضا ان الانكليز والهندوس يتفقون سرّاً على الكيد لهم .

وعلى الرغم من هذا كله فقد ظل جانب من المسلمين يرى فائدة من التعاون مع الهندوس الذين كانوا ينظرون الى مواطنيهم المسلمين نظرة الازدراء ويعدونهم في المنبوذين ، وربما اعلنوا ذلك في كتاباتهم وخطبهم على رؤوس الاشهاد . فلقد قال سافاركار ، احد قادة جماعات الهندوس : ان القضايا الاجتماعية في الهند هي ارث قديم حمل الينا عداء ثقافيا ودينيا وقوميا بين المسلمين والهندوس . وحينما يحين الوقت فان هذه القضايا ستحل . ونحن لن نستطيع ان نصرف هذه القضايا بتجاهلها . فلنواجه الحقائق المرة بشجاعة اذن ؛ ان الهند لن تستطيع ان تكون بلداً موحداً ولا امة موحدة ؛ ان فيها امتين : الهندوس والمسلمين .

ومنذ عام ١٩٢٥ نشر هار ديال ، احد كبار الصحافيين مقالاً في جريدة له فقال :

« انني اعلن ان مستقبل الجنس الهندوكي في الهندستان والبنجاب (اي في المقاطعات الشمالية الغربية حيث يكثر المسلمون) يجب ان يقوم على اربعة اسس : الوحدة الهندوكية ، الحكم الهندوكي ، تجنيس المسلمين ، ثم احتلال الافغان ومناطق الحدود الجبلية ... والا كان مستقبل الامة الهندوكية كلها في خطر . ان الجنس الهندوكي له تاريخ واحد ومؤسسات متشابهة ، ولكن المسلمين والنصارى يبعدون



محمد اقبال

كل البعد عن الفكرة الهندوكية ، ولهما فوق ذلك دينان
غريبان . والمسلمون والنصارى اشد ميلا الى « الحضارة »
الفارسية والعربية والاوروبية .

في هذه الاثناء كان القول بانشاء دولة خاصة بالمسلمين
في الهند قد اتسع نطاقه . فمن الذين قالوا بذلك مولانا
عبيد الله السندي المولود في سلكوت بالبنجاب والمتوفى نحو
عام ١٩٤٠ . كان عبيد الله هذا من السيخ ، ولكنه اعتنق
الاسلام في صباه وكان له آراء متطرفة زادت تطرفاً
بتطوافه في الارض . ولقد وضع له ان الهند ليست بلداً
واحداً لما فيها من امتداد الاقطار وكثرة الاجناس
واختلاف المذاهب وتعدد اللغات ، بل هي في الحقيقة قارة .
من اجل ذلك لا يستقيم فيها دولة واحدة جامعة . اما
المسلمون فيجب ان يكون لهم دولة خاصة بهم . ولقد ضمن
عبيد الله السندي آراءه هذه في منهاج مفصل نشره عام
١٩٢٤ في استانبول . ولكن الانكليز منعوا دخول هذا
المنهاج الى الهند .

ما الذي دعا الى هذه الفكرة دعوة جمعت حولها قادة الهند
وشبابها ثم جعلت لها صدى يتردد في انحاء العالم فهو الشاعر
الفيلسوف محمد اقبال (١٨٧٦ - ١٩٣٧ م) المولود في
سلكوت ايضاً . انه روح هذه الحركة وشاعرها وفيلسوفها .
والحقيقة انه لم يكن بالامكان ان يستمر المسلمون
والهندوس عائشين على ارض واحدة : ان كل شيء

في الاسلام مخالف لكل شيء عند الهندوس ، كما قال محمد علي جناح : الدين والطعام واللباس والاسماء والنظرة الى المرأة . حتى موقف الهندوس من الحيوانات مخالف لموقف المسلمين ، فالهندوس يعبدون البقرة بينما المسلمون يأكلون لحمها .

*

ومن الخطوات الفاصلة في تطور قصة الباكستان الدورة الثانية لمؤتمر الطاولة المستديرة الذي انعقد في لندن عام ١٩٣٢ فقد اقر الانكليز لاجراء حزب الرابطة الاسلامية ان يحضروا المؤتمر بصفتهم « مسلمين » لا على انهم « حزب سياسي هندي » . وهكذا اكتسب النضال الاسلامي في الهند صبغته الرسمية الشرعية .

ويظهر ان موقف الهندوس من الوطنية ايضا كان يختلف من موقف المسلمين . في عام ١٩٣٧ اعلن البانديت جواهر لال نهرو - وهو رئيس الوزارة الحالي في الهند - ان هنالك في الهند حزبين : الحكومة الانكليزية وحزب المؤتمر . اي المواليين للانكليز . حينئذ اضطر محمد علي جناح ان يقول : بل إن ثمة حزباً ثالثاً ، هو الامة الاسلامية . ومنذ ذلك الحين ادرك المسلمون حقيقة الخطر الذي هم فيه صراحة .

ولم يبق بعد عام ١٩٣٧ عذر لمسلم في الهند ان يظل عضواً في حزب المؤتمر ولا ان يبقى خارج الرابطة الاسلامية .

ولكن الرابطة الاسلامية كانت تحتاج الى تنظيم حتى تصبح اداة فعالة في يد القادة المخلصين . وقبض الله لها رجالا مخلصين نظموا ثم ألقوا رئاستها الى محمد علي جناح . وهكذا وقف المسلمون كلهم صفا مرصوها يعلنون رأيهم بجماعة ويقولون : لا نريد ان نعيش بعد اليوم اقلية تحت حكم ظلم عسوف . لقد استيقنوا ضرورة قيام دولة « باكستان » دولة للمسلمين في الهند .

ان هذا الطيف الذي كان يراود خيال قادة المسلمين في الهند ، والذي كان الكثيرون يظنونهم اضغاث احلام ، قد بدا في عام ١٩٣٧ في متناول اليد . ان فكرة الباكستان لم تزد مع الايام وضوحاً ، ولكن الايمان قد دخل قلوباً جديدة فملأها نوراً .

وقد يحلو للقارئ ان يسأل : ما معنى كلمة باكستان ، وكيف سلك مسلمو الهند هذه الكلمة . ان الكلمة في ظاهرها تركيب مزجي معناه ارض الطهر او الدولة الطاهرة . فكلمة باك معناها طاهر . وكلمة ستان معناها الارض او الدولة .

واما الكلمة نفسها فخيال بارع ابدعه الطلاب المسلمون الذين كانوا يدرسون في انكلترة . ولقد استعمل للمرة الاولى في كانون الثاني عام ١٩٣٣ ، إذ رفعت به صوتها منظمة الطلاب المسلمين في بريطانيا العظمى . لقد دلهم خيالهم الشاعر على ان يفضلوا أحرفاً من المقاطعات الهندية التي يكثر

فيها المسلمون ثم يؤلفوا بينها ليستخرجوا منها اسماً للدولة التي
ستكفل العزة والكرامة لهم ولأخوانهم ثم لابنائهم واحفادهم
من بعدهم . وهكذا سكت الكلمة على الشكل التالي :

ب من البنجاب .

ا من باتان (الحدود الشمالية الغربية) .

ك من كشمير .

س من السند .

تان من بلوخرستان ١

وظلت كلمة باكستان مشروعاً شخصياً للطلبة حتى عقدت
الرابطة الاسلامية في آذار عام ١٩٤٠ اجتماعاً عاماً حضره
مائة الف مسلم ، فقرر فيه ان تتخذ كلمة باكستان اسماً
رسمياً للدولة المأمولة .

وأيقن الهندوس ان رغبة المسلمين في الانفصال سياسياً
ستتحقق فحاولوا أن يمنعوا تحقيقها بكل سبيل فلم يفلحوا .
ذلك لأن المسلمين ادركوا أن رضاهم بالبقاء في دولة
هندوكية معناه القضاء عليهم اقتصادياً واجتماعياً ثم استئصال
شأفتهم مرة واحدة بالمذابح . لقد كان الضمان الوحيد
للمسلمين في الهند ان يكون لهم دولة هم سادتها .

*

(١) يلاحظ ان الكلمة لا تضم حرفاً يمثل البنغال ، مما يدل على ان الطلبة
لم يكونوا يفكرون آنذاك الا في غربي الهند . ولكن يمكن تمثيل كلمة بنغال
مشتركة مع الالف مثلاً .

امام هذا الاصرار لم يجد الهندوس بدأ من الانحناء قليلا
فجعلوا يتصلون بالقادة من المسلمين ويفاوضونهم في حلول
مختلفة .

وكان اول برهان تقدم به الهندوس برهانا لفظيا مبنيا
على الاثراك بالله . انهم قالوا : ان امنا الهند تشبه بقرة ،
واذا نحن قسمنا البقرة قسمين ماتت . لقد كان هذا التشبيه
يتفق مع العقلية الهندوكية ، فالهندوس يعبدون البقرة
ولا يذبحونها ، اما المسلمون فانهم لا يعبدون إلا الله ،
ولقد جرت عادتهم ان يذبحوا جميع انواع النعم .

وتحاجز الفريقان في الهند : الهندوس يودون أن تبقى
الهند موحدة والمسلمون يصرون على اقامة دولة لهم .
ولكن لما أعلنت الحرب العالمية الثانية اعلن الانكليز ان
سلامة الامبرطورية تقضي عليهم بان يتركوا قضية التقسيم
جانبا وان يوحدا جهود جميع السكان في الهند في سبيل
النصر . ولم يكن الهندوس ولا المسلمون بقادرين على
مقاومة ذلك .

ولكن القائد المفكر المخلص محمد علي جناح قال : اننا
نوافق على الهدنة في كفاحنا السياسي اذا رضيت بريطانيا
بشرطين لنا :

١ - تعلن الحكومة البريطانية اعلانا صريحا باننا
لا نتبنى دستورا لحكم الهند في زمن الحرب او بعد الحرب
من غير موافقة سابقة من جانب المسلمين .

٢ - يكون للمسلمين نصيب مساو لنصيب غيرهم من
السيادة وفي مراقبة امور الحكومة المركزية والحكومات
الاقليمية .

ورضى الانكليز بذلك واعلنوا في آب ١٩٤٠ انهم لن
يوجدوا في الهند شكلاً من اشكال الحكم لا ترضى عنه
عناصر كثيرة العدد قوية الاثر . فقبل المسلمون هذا الاعلان
ورفضه الهندوس ثم اعلنوا عصياناً مدنياً . ولكن المسلمين
وقفوا على الحياد فخابت الحركة . ثم قام الهندوس بثورة
جائحة في آب من العام التالي ، ولكن الانكليز تغلبوا على
تلك الثورة وقبضوا على غاندي وعلى زعماء حزب المؤتمر
وزجروهم في السجون .

ان سياسة المسلمين في هذا النزاع كانت واضحة : إما
تعاون مطلق على اساس اقتسام صحيح للمغانم وحمل مشترك
للمغارم واما انفصال ! ان المسلمين قد شبوا في الهند عن
الطوق ، وهم يرفضون بعد اليوم ان يكونوا مطايا إلى
اغراض غيرهم .

وانحنى الهندوس الخنساء جديدة فاجتمع غاندي بمحمد
علي جناح عام ١٩٤٤ في بومباي . ومع ان غاندي
اقر بان ثمة مقاطعات يحق لها ان تقرر مصيرها بارادتها ،
فانه ظل مقاوماً للتقسيم ثم اصر - في حالة تحقيق تقسيم
ما - ان تظل السياسة الخارجية وشؤون الدفاع والمواصلات
والتجارة خاضعة لادارة مشتركة . ولكن محمد علي جناح

رفض رأي غاندي مرة واحدة لأن هذا الرأي كان مخالفا
لرغبات المسلمين .

و اثر صبر محمد علي جناح ، ففي تموز عام ١٩٤٥ شكل
حزب العمال الوزارة البريطانية . وفي ١٥ آب من العام
نفسه استسلمت اليابان وانجاب الخطر عن الشرق الاقصى .
اما الانتخابات التي كانت قد اجلت في الهند بسبب
الحرب فقد اجريت في اوائل عام ١٩٤٦ . وفي اثناء
الاستعداد للانتخابات جعل حزب الرابطة الاسلامية قضية
« باكستان » أبرز نقطة في منهاجه الانتخابي . وكان
المسلمون في الهند قد باتوا مقتنعين بذلك ففاز حزب
الرابطة الاسلامية بالمقاعد الثلاثين المخصصة بالمسلمين في
المجلس التشريعي المركزي ، ثم نال ٤٢٧ مقعداً من مجموع
٥٠٧ مقاعد للمسلمين في مجالس الاقاليم .

ومع ان نفرأ من المسلمين « نزلوا الى الانتخابات في
قوائم الهندوس » ودخلوا الى المجلس النيابي باسم بني امتهم ،
فان رغبة المسلمين - حتى في المجالس التشريعية - قد
اصبحت الآن واضحة الى أبعد حد . ولم يبق بإمكان الحكومة
البريطانية ولا بإمكان الهندوس ان يتجاهلوا رغبة مائة
مليون من المسلمين يريدون ان يعيشوا احراراً في دولة لهم .
وإذا كان في العالم جماعات تبلغ في العدد بضعة آلاف او
بضع مائة الف او مليوناً او مليونين من البشر ولهم
دولهم المستقلة ، فمن الأجدر ان يكون لامة تعد مائة

مليون دولتها المستقلة .

ولما بلغت المعضلة الى هذا الحد الفاصل اصبح البحث في اساس التقسيم مضية للوقت . فانتقل البحث المنتج الى طريقة التقسيم ونقل السلطات من البريطانيين المستعمرين الى ابناء البلاد . وفازت قضية المسلمين في الهند .

وهنا اخذ مجيش في صدور الفتیان والشيوخ وفي صدور العجائز والفتيات صوت لا تقدر عليه الالسنه بعد ، ولكن تحسه القلوب . ثم تريد الحناجر ان تعلنه للعالم مدوتيا ولكنه ينجس عند الشفاه فيتفرق دمعاً يمتزج فيه الحنين القديم بالفرح الجديد والماضي المجيد بالامل الباسم . فمتى تحينين ايتها اللحظة المباركة لبتاح للصدر ان تدفع بالهتاف الى اطراف الدنيا ، هتافاً تصل امواجه الى عظام آبائنا الذين حلموا بهذا اليوم والى رفات اجدادنا الذين اورثونا هذا الوطن الغالي والايامن الوطيد . نريد ان نقول « باكستان زنده باد » !
(تحيا الباكستان) ولكننا لا نستطيع ذلك بعد .

*

وفي الثامن عشر من تموز عام ١٩٤٧ اتخذ البرلمان البريطاني قراراً هو :

« ابتداءً من الخامس عشر من آب عام ١٩٤٧ يقوم في الهند حكومتان باسم الهند وباسم باكستان » .
وهكذا ولدت على رقعة هذه الارض اكبر دولة اسلامية وخامس دولة كبرى في العالم كله :
باكستان زنده باد !

قسمة ضيزى

اضطرت انكلترة بعوامل سياسية عالمية - لاحقاً باحقوق الحق ولا تلبية لرغبة الهنود - ان تخرج من الهند ؛ ولم تجد بداً قبل خروجها من ان تقسم الهند قسمين : هندستان حيث تعيش اغلبية هندوكية ثم باكستان حيث تعيش اغلبية مسلمة . وهنا استيقظ الحقد القديم في صدر المستعمر وحيكت احدى المؤامرات الكبرى في تاريخ الانسانية . . .

لقد قسمت الهند قسمة غير عادلة ، قسمة لا تتفق مع المنطق . ولم يتحر القاسمون العدل في توزيع الارض ولا في الاستماع الى رغبات السكان ولا في توزيع الثروات الطبيعية والوطنية . وبما ان الجور البالغ والتناقض المطلق والمهاللة الظاهرة قد سيطرت على قضيتي حيدر اباد وكشمير خاصة ، فاني سأفرد لهاتين القضيتين فصلاً خاصاً في آخر هذا الكتاب .

واعطي المسلمون ارضاً تتألف من قطعتين يفصل بينهما في اقرب نقطتين منها الف وسبعمائة كيلو متر . وكان

مبدأ حق تقرير السكان يمنح للمقاطعات المختلف عليها بسهولة ،
اذا كان التصويت سيخرج فيها بجانب الهندوس فقط . واما
اذا كانت نتيجة التصويت محتملة الميل الى احد الجانبين
فان حكومة الهند كانت تستولي على المقاطعات المختلف عليها
بقوة الجيش . وهذا ما حدث في جوناغاد .

اخترت مقاطعة جوناغاد في ١٥ آب عام ١٩٤٧ ان
تبقى منفصلة ، غير داخله في الهندستان أو في الباكستان .
ولكنها عادت بعد شهر فرأت من مصلحتها ان تنضم الى
الباكستان . إلا أن حكومة الهندستان عارضت اولاً في
بقاء جوناغاد منفصلة ، ثم عارضت ايضاً في انضمامها الى
الباكستان وعدت ذلك مخالفاً لروح التقسيم ، اذ ادعت
ان في جوناغاد اكثرية هندوكية . من اجل ذلك طلبت
الاستفتاء واشترطت ان يجري هذا الاستفتاء تحت اشراف
لجنة مولفة من ممثلين عن حكومة الهند ومن ممثلين عن
حكومة جوناغاد فقط . ثم رأت حكومة الهندستان أيضاً ان
هذا الاستفتاء قد لا يكون في صالحها فاقترحت حل
المشكلة بالمفاوضة مدعية ان جوناغاد مقاطعة حيوية للهندستان
لاعتبارات اقتصادية وجغرافية وعسكرية . على ان
الهندستان لم تنتظر نتيجة المفاوضات ولا الاستفتاء ، بل
ارسلت جيوشها واحتلت المقاطعة ووضعت لجنة التقسيم امام
امر واقع . ولكن كشمير فيها اكثرية مسلمة تبلغ
ثمانين في المائة وهي حيوية للباكستان من الناحية الجغرافية

والاقتصادية والعسكرية ، ومع ذلك فان لجنة التقسيم لم
تقتنع بعد - وبعد اربع سنوات - بان ما طُبِّق في
جوناغاد - وبغير حق ، لأن السكان اعلنوا رغبتهم في
الانضمام الى الباكستان - يجوز ان يطبق بحق على كشمير .
ولكن سبق لي ان قلت انني سأفرد حيدرآباد وكشمير
فضلا خاصا .

ولم يقف الظلم عند حد توزيع الاراضي ، بل ان الهندوس ،
والانكليز معهم كما يظهر بوضوح ، أرادوا أن يعرفوا قيام
دولة الباكستان ؛ فسعوا الى ان يجرموها من كل وسيلة
من وسائل النهوض ، بل من وسائل الحياة . لقد جعلت
دهلي - او دهلي كما يقول الانكليز - في نصيب الهندوس ،
وكذلك جعل المرفآن العظيمان بومباي في الغرب وكلكوتا
في الشرق في نصيبهم ايضا . وبما ان مصالح الدولة تكون
عادة في العاصمة ، وبما ان بومباي وكلكوتا هما في الهند
اعظم اهمية من العاصمة بعدد السكان وبالحركة التجارية
والصناعية ، ثم هما فوق ذلك مرفأاً لهند ومركزا للتخزين
فيها ، فان معظم الثروة الوطنية ومعظم مرافق الدولة
اصبحت بعد التقسيم في قبضة الهندوس . وكان الاتفاق
ان توزع هذه الثروة المتفرقة في المقاطعات كلها وهذه المرافق
بين الدولتين الطفلتين حسب استحقاقها . اما الباكستان
المسلمة فقد برت بما عاهدت عليه ونقلت الى الهندستان
نصيبها مما كانت هي تملكه . واما الهندستان الهندوكية فقد

قبضت يديها ولم تؤد الى الباكستان شيئاً اصبح في حوزتها ،
لا من السجلات ، ولا الاوراق ولا الاثاث ولا من ثروات
الدولة . فما ان اعلنت الباكستان دولة مستقلة حتى تلفقت
فلم تجد في يديها شيئاً يذكر من وسائل تسيير الادارة .
حتى القليل من الاثاث واللوازم الذي لم يجد الهندوس
بداً من ارساله الى دولة الباكستان قد هاجمه الهندوس والسيخ
في الطريق ونهبوه او اتلفوه . ومنعت الهندستان الفحم عن
الباكستان بحجة انه لا يوجد قطر كافية للنقل . ثم ضرب
الهندوس الضربة التي ارادوا أن تكون بارعة ، فأبوا
تسليم الباكستان حقها من المال المضروب وقدره خمسمائة
وخمسون مليون روبية ، رجاء أن تعجز الباكستان عن
دفع رواتب موظفيها فيقع الاضطراب فيها وتعمها الفوضى
ويستحوذ القلق على النفوس فتختنق الدولة الوليدة في
مهدا .

ومع هذا كله فقد رضي المسلمون . لم يصبح لهم الآن
وطن مستقل يعيشون فيه احراراً ؟ اجل ، انه وطن
فقير ، ولكن سيغنيه الله من فضله .

ويجب الان نسي ان ضعف المسلمين في الهند كان ناتجاً
عن ان اكثرهم كانوا ملاكين لاصناعاً ولا اصحاب مشاريع .
وكانوا منذ الاحتلال الانكليزي اقل اقبالاً على العلم الغربي
من الهنود .

كانت الفتن الطائفية مألوفة في الهند كما هي مألوفة في كل
صقع يحكمه المستعمرون . ولكن تلك الفتن اتخذت في الهند
اتجاها خاصاً . ان الهنود يقصدون البقر . من اجل ذلك
جرت العادة ان يشتري الاتقياء منهم البقر ثم يطلقوها حتى
لا يذلوها بشيء من الفلاحة او الحبل . وكانت هذه الابقار
تسرح في المدن والقرى والحدائق والاسواق - وهي حيوانات
عجباوات - فقتل الزرع او تفسد في الاسواق . فاذا اتفق
ان رد مسلم بقرة عن ماله او آذاها او ذبحها ثار الهندوس
على اخوانهم في الوطن واكثروا فيهم القتل والجراح
وتعرضوا هم بدورهم للموت - في سبيل بقرة !

*

ولكن هذا ليس مدار بحثنا الآن . ان بحثنا الآن يتناول
تلك المذابح وما تبعها من الدمار والحراب والمدم مما سببته
النشوة بقرب اعلان الاستقلال ، ثم ما حدث بعد اعلان
الاستقلال ايضا . ويظهر ان اضطرابات صغرى قد حدثت
بين الطرفين منذ آب ١٩٤٦ ثم اخذت تتسع وتشتد : نهبا
وحرقا واغتيالاً حتى اجتمع محمد علي جناح وغاندي وكتبا
بينها كتابا اعلنا فيه استنكارهما لاعمال العنف في سبيل
الوصول الى الاستقلال . ثم انها وقعتا هذا الكتاب في الخامس
عشر من نيسان ١٩٤٧ ، قبل إعلان الاستقلال باربعة اشهر .

وكذلك هذا ايضا لا قيمة له في بحشنا . ولقد كان مثله
او أشد منه خليقا ان يحدث في كل مكان ، ان لم يكن
على اساس الدين فعلى اساس القومية مثلاً . فأني حركة
خلصت من الاضطرابات الداخلية ؟ لا الثورة الفرنسية في
فرنسة ولا حركة الاصلاح الديني في فرنسة وانكلترة ، ولا
حروب الاستقلال في الولايات المتحدة وفي البلقان وفي دول
أواسط اميركة وجنوبها الى اليوم .

*

وظلت هذه الاضطرابات في نطاقها الضيق حتى اقترب
يوم الاستقلال . واستبق الهندوس اعلان الاستقلال رسمياً ،
ففي اليوم الثالث عشر من آب - قبل اعلان الاستقلال
ببومين اثنين فقط - جاءت انباء مذبحه كبرى من بلدة
اميتسار عاصمة السيخ ، وكانت مذبحه منظمة غادرة . في بلدة
اميتسار في شرقي البنجاب ، الذي جعل من نصيب الهندوس ،
خمسائة الف ساكن منهم مائتا الف مسلم (أي اربعون في
المائة من مجموع السكان) . لقد أغار السيخ على إخوانهم
في الوطن . إغارة منظمة محكمة مدعومة بلاريب حتى ان
جميع المسلمين الذين كانوا في تلك البلدة قد قتلوا في مدى
بومين او أخرجوا من ديارهم واموالهم .

وانتشرت اخبار اميتسار في طول البلاد وعرضها ،
فحدث لها ردّ فعل عنيف في الهندستان والباكستان . ثم
استحوذ الخوف على النفوس وبدأت سيول المهاجرين تتدفق

من الهندستان الى الباكستان ومن الباكستان الى الهندستان
اياماً واسابيع .

ثم ان هذا ايضا كان منتظراً فان الامم التي تحطبت
استقلالها يجب ان تدفع مهره اموالاً وانفساً وخوفاً وشقاءً ،
وخصوصاً في الاماكن القاصية البعيدة عن عيون الحكومة
في مركزها . على ان حوادث دهلي خبطت في تاريخ
الاضطراب صفحة جديدة غير مشرقة ولا مشرقة .

كانت حكومة الهند قد استقرت في دهلي وملكتم زمامها
وجعلتها عاصمة الدولة الهندوكية . وظن الناس ان التوترو
بين الدولتين التوأمن قد زال لما عاد السردار باتل مندوب
الهندستان في الثالث من ايلول (عام ١٩٤٧) من مؤتمر
مشترك عقد في لاهور بالباكستان . هذا المندوب ادلى
بتصريح عام في الثالث من ايلول نفسه يدعو عامة الناس
الى الهدوء وموظفي الحكومة الى القيام بواجبهم وخصوصاً
نحو اخوتهم واخوانهم الهندوس والسيخ اللاجئين من البنجاب .
ثم قال انه يدرك ان لاجئين كثيرين قد احتملوا اصناف
الآلام والشقاء ومروا في مخاوف لا توصف او كانوا فريسة
فظائع لا يصدق العقل ما صحبها من الوحشية . فمن قوله :
إنهم قد شهدوا جحيماً من العذاب النخط فيه معذبوهم الى درك
اسفل من ذلك الذي يمكن ان تكون فيه اعظم الوحوش
ضراوة . ثم ان السردار باتل نصح بني قومه الهندوس الا
يلجأوا الى الاخذ بالثأر او الانتقام ، لأن كل عمل في هذا الباب

يمكن ان يوقع على إخوانهم الباقين في الباكستان اذى جديد .
 الا ان هذه النصيحة المبطنة بالتحريض لم يمكن ان يكون
 لها سوى نتيجة واحدة وسريعة أيضا . ففي اليوم التالي لخطبة
 السردار باتل في دهلي - وكان يوم الخميس في الرابع من
 ايلول - بدأت الاغتيالات ثم كثرت حتى دعا ذلك الى فرض
 منع التجول في العاصمة . ثم اتسع نطاق الاغتيالات والحرائق
 اتساعا اقتضى دعوة رجال الجيش . ولم تعد الحال الى شبه
 استقرار الا بعد بضعة ايام . وفي الثاني عشر من ايلول
 استأنف السردار باتل نصائحه الى الشعب بأن يلزم الهدوء
 - ولكن من محطة الاذاعة هذه المرة . على ان هذا الهدوء
 لم يبدأ الا في الخامس عشر من ايلول ، ذلك لأن المسلمين
 كانوا قد لقوا على ايدي الهندوس قتلا ذريعا وتشريداً فظيماً
 وتعذيباً مريعاً ، في قلب العاصمة الهندوكية وتحت بصر رجال
 الشرطة والجيش وسمعهم . اما في المناطق البعيدة عن العاصمة
 فان حكومة الهندستان استعملت سلاح الجيش البري والجوي
 ايضا ، لقمع الاضطرابات في مناطق اكثريتها هندوس وسينخ
 والاقليمية فيها مسلمة !

ولكن القصة لم تنته هنا ، بل بدأت . فان الهندوس
 والسينخ الذين كانوا يهاجرون من الباكستان كانوا يخرجون

(١) هذه الحقائق مأخوذة من كتاب صدرته حكومة الهندستان .

After Partition, Modern India series - 7, Issued by the
 Publication Division, Ministry of Information and Broad -
 casting, Government of India, Delhi 1948, PP. 41 ff.

تحت اشراف لجنة رسمية حاملين معهم اموالهم وأثاثهم . وقد
هاجروا بالوسائل الآتية :

بالسيارات ٤٢٧,٠٠٠

بالقطر الحديدية ١,٣٦٢,٠٠٠

بالعجلات التي تجرها الحيوانات ٨٤٩,٠٠٠

بالبواخر ١٣٣,٠٠٠

بالطائرات ٢٧,٥٠٠

اما المهاجرون المسلمون فكانت قصتهم مأساة حقيقية :
لقد اخرجوا من ارضهم وبيوتهم واموالهم تحت النار
والرصاص . وقد قطع اكثرهم مسافات تبلغ احيانا مئات
الاميال مشيا على أقدامهم فلم يصل الى الباكستان الا اقلهم .
اما سائرهم فقد ماتوا في اثناء الطريق من البرد والحرق والجوع
والاعياء او غرقا في الانهار او ضلالا في البوادي والاحراج .
واما الذين ظنوا انفسهم محظوظين حينما اتيح لهم ان ينتقلوا
بالسيارات وبالقطر الحديدية فقد خاب ظنهم . لقد كان هؤلاء
معرضين طول الطريق التي قطعوها في الهندستان لهجمات الهندوس
والسيخ في كل محطة - اجل ، في كل محطة ! ولقد كانت تلك
السيارات او القطر تصل فعلا الى حدود الباكستان ، ولكنها
كانت تصل فارغة او مملوءة بالجثث وبالمشوهين فقط .

وكانت السلطات الاسلامية كلما احتجت الى لجنة التقسيم
الانكليزية وعدها اللجنة بالتحقيق ثم لا يحدث شيء إلا
اعتداءات جديدة من جانب الهندوس على المسلمين . واذا

كنا لا نزال نذكر ما حدث للعرب في دير ياسين بفلسطين
 على يد اليهود ، فان هذا نفسه قد حدث للمسلمين في
 الهندستان على يد الهندوس ، ولكن على نطاق واسع جداً !
 واستمر المسلمون يهجرون الهندستان بالملايين تاركين
 وراءهم اموالهم واملاكهم ، هاربين بايمانهم الى الباكستان لا
 يبالون بما ينتظرهم في اثناء الطريق من المخاطر والعدوان . بل
 ان ايمانهم لم ينقص من جرّاء ذلك ذرة واحدة . لقد كان احدهم
 اذا وصل الى حدود الدولة الاسلامية فقيراً مشوها عاجزاً ،
 فما ان تطأرجلاه ارض الوطن الجديد حتى يسجد على جنبه الصحيح
 شكراً لله على ان اصبح للمسلمين دار امان في ارض الهند !
 ولما تحرك المسلمون



إشفاقاً على ما يصب
 اخوانهم المهاجرين وطلبوا
 من حكومتهم ان تعامل
 الهندوس كما تعامل
 الهندستان المسلمين ، فحسب
 رئيس الحكومة وقال :
 لا ، نحن لا نفعل ذلك

لأننا مسلمون !

ويعود عامين اثنين
 تفتح نشاط المسلمين في
 دولتهم الجديدة واصبحوا
 اغنياء اقوياء مرهوبي

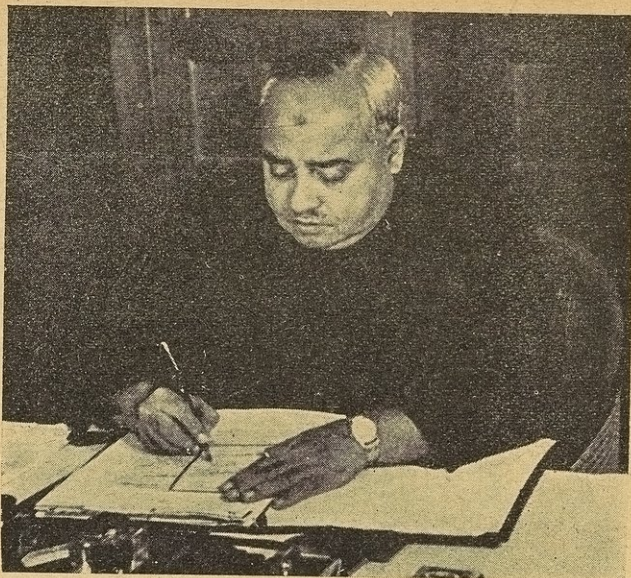
لياقت علي خان ، رئيس الوزارة الباكستانية
 الجازب ، فصرف الله عنهم عذاب الهندوس والهندستان .

حكومة تريد ان تنشئ دولة

لن استطيع ان اكتب كل شيء عن الباكستان ، فانا لم امكث فيها سوى تسعة ايام قصار ، وكذلك لم اشاهد سوى مدينة واحدة ، او سوى جزء من مدينة واحدة على الاصح . ولكن ذلك لن يضيرني في ما اريد ان اكتبه ، فاني لن اتكلم عن الحبحر المتفرق في رقعة الباكستان المتسعة ، بل عن البشر الذين اجتمعت نفوسهم على مثل اعلى واحد وإن تفرقت ابدانهم في البلاد .

*

كانت أول كلمة اعلنها محمد علي جناح مؤسس دولة الباكستان بعد ان اصبحت هذه الدولة حقيقة واقعة ، قوله : سنقضي على الرشوة والفساد الموروثين من عهد الاستعمار . ولقد بر محمد علي جناح بقوله فحاول جهده ان ينفي من الدولة الاسلامية الناشئة ذلك الفساد الموروث . ولما توفي سار قادة الباكستان على آثاره ، فالرشوة بمنوعة والسوق السوداء مفقودة والامن مستتب والتصدير والتوريد



الحاج الخواجه ناظم الدين خات الحاكم العام لدولة باكستان عراقيبان . ومع العلم اليقين بانه ما من دولة تستطيع ان تقضي على مظاهر الفساد في البلاد ولا ان تجتث جذوره من صدور الناس ، فان ثمت فرقاً ظاهراً بين دولة تسعى جردها ثم تقف دون غايتها قليلا وبين دولة اخرى تطلق للفساد في ارضها العنان .

الاقتصاد والسياسة صنوان وعمادان لكل دولة . واذا كانت التربية السياسية ، بما فيها من حياة اجتماعية وسلوك اخلاقي وتهذيب نفسي ، لا تتأني الا في السنين الطوال ، فان التوجيه الاقتصادي يجب ان يبني على الحزم والاسراع

في اتخاذ الاجراءات . ولقد ادركت الباكستان انها ولدت فقيرة . ان الاجانب كانوا يستغلون مرافق الحياة في الامبرطورية الهندية كلها فعمدت الى سياسة اقتصادية حكيمة :

لقد نظمت التصدير والتوريد فجعلت جميع الصادرات خاضعة لمراقبة الدولة . فبدلاً من ان يربح المهربون الاجانب الارباح الفاحشة من الصادرات بعد ان يرضوا زملاءهم الوطنيين بدرهيات قليلة ، اصبحت الارباح الحقيقية تصب في ميزانية الدولة نقدا نادراً ، واخذت الثروة الوطنية تزداد يوماً بعد يوم . اما في باب الاستيراد فلم تسمح الدولة الا بما تحتاج اليه الدولة في نشأتها من الآلات والادوات والمواد الاولية ومن بعض ما لا بد منه للبلاد . اما اسباب الترف فلا يمكن ان تنفذ الى الباكستان بسهولة . ان الشاي الباكستاني اقل قيمة من الشاي السيلاني ، ولكن على الباكستانيين ان يرضوا بشايم حفظا لثروتهم . وكذلك ليس من الضروري ان يقدم الباكستانيون لضيوفهم قهوة مصنوعة من البن العذني ولا بسكوتا من صنع انكلترة . حتى الكوكاكولا ليست موجودة .

في هذه الاثناء عمدت الباكستان الى توسيع الحياة الاقتصادية فشجعت تأسيس المعامل وتأليف الشركات الوطنية . فهناك اليوم شركات الملاحة وللطيران ومعامل للنسيج ولقطع السيارات وللهصابيح الكهربائية وقطع السكك الحديدية وللسلاح وللورق والمطاط وسواها من

الصناعات الخفيفة والثقيلة . فهناك مثلاً في غربي الباكستان
عشرون معملاً لصب الحديد والفولاذ وستة وعشرون مصنعاً
لتركيب القطر الحديدية وإصلاحها . ثم سنت الحكومة
القوانين لتنظيم الصناعات وحمايتها من المزاومة الخارجية
وساهمت في تأسيس المعامل . من ذلك مثلاً أنها اتفقت مع
مؤسسة عجمي واولاده على استحداث ثلاثة معامل للخيش
يضم كل معمل منها الف نول ، على ان يدفع اصحاب
المؤسسة نصف رأس المال (وتدفع الحكومة النصف
الباقى) . وسيكون المعمل الاول جاهزاً في نيسان
١٩٥١ . وتنوي الحكومة الباكستانية ان يكون عدد
معامل الخيش المستحدثة حتى عام ١٩٥٥ عشرة .

ان الحكومة الباكستانية بعملها هذا قد حملت الخزينة
عبئاً ثقيلاً ، ولكنها عملت على زيادة الثروة الوطنية زيادة
كبيرة . ان المحصول الاول في الباكستان هو القنب
الهندي ، اي النبات الذي تصنع من أليافه الجبال والخيش .
والباكستان تنتج اكثر من ثلاثة ارباع محصول العالم من
هذه المادة ، ولكنها تنتج مائة بالمائة من القنب الجيد ،
فلا عجب اذن اذا سمي الباكستانيون ألياف القنب خيوط
الذهب ! ولا غرو ان تهتم الحكومة به هذا الاهتمام .
وكما ان الطبيعة قد أغنت شرقي الباكستان بالقنب
الهندي ، فانها انعمت على غربي الباكستان بالقطن .
فالقطن هناك هو المحصول التجاري الثاني بعد الخيش ، وان

كان محصوله لا يزيد على ستة في المائة من مجموع المحصول العالمي . وعرف الباكستانيون للقطن ايضاً فضله فسموا خيوطه خيوط الفضة .

والباكستان تحتاج الى معظم قطنها للاستهلاك المحلي في صناعة النسيج . ولكن بما ان « صناعة الغزل والنسيج » لم تبلغ بعد أشدها ، فإن الباكستان لا تزال تصدر بعض قطنها خاماً ثم تستورد بعض المنسوجات القطنية . الا ان اقامة المعامل للغزل والنسيج هي اليوم شغل البلاد الشاغل . كنا مرة ذاهبين الى حفلة شاي اقامتها لنا شركة معامل النسيج المتحدة في كراتشي يوم السبت في العاشر من شباط ١٩٥١ . وكانت الحفلة تحت رعاية الحاج الخوجا ناظم الدين الحاكم العام للباكستان ، وقد حضرها شخصياً .

نزلنا من السيارات ثم سرنا مسافة طويلة قبل ان نصل الى السرادق المنصوب للضيوف . وقد كان مسيرنا بين صفوف متلاحقة من الآلات والادوات . فالتفت الى عضو كبير في احد الوفود العربية وسألني : أهذا « محل » لبيع الآلات ؟ فقلت له : لا . ألم تقرأ الدعوة ؟ اننا مدعوون الى مشاهدة معمل جديد للنسيج . وهذه الآلات ليست سوى جزء من المعمل الذي سيتم تركيبه قبل نهاية هذا العام .

*

والحكومة الباكستانية تعمل جاهدة على كشف

الثروات الطبيعية في الارض كالملاح والجبس (الجفصين)
ورمل الزجاج والتوابة الافرنجية والاملاح المعدنية والكبريت
والكروم (الضروري لصناعة الفولاذ) والاثمد (وهو
ضروري في صناعة الحديد والصناعات الحربية) والفحم
والحديد والنحاس والذهب والبتول . على ان الارض
الباكستانية لم تنكشف بعد عن مناجم غنية للبتول والذهب
والنحاس والحديد والفحم .

هذه المشاريع الاقتصادية الواسعة تحتاج الى رؤوس
اموال ضخمة والى آلات وادوات لا تصنع كلها في
الباكستان . من اجل ذلك سمحت الحكومة بدخول
رؤوس الاموال الاجنبية ولكن بشروط قاسية ، منها ان
يكون استثمار تلك الاموال لغايات صناعية واقتصادية بحت .
ولكن هذه القيود لم تشجع اصحاب الاموال الاجانب على
المغامرة في المشاريع الاقتصادية وحدها . ومع ان هذا قد
يؤخر اتساع العمران من ناحية ، فانه من ناحية ثانية يفسح
المجال امام رؤوس الاموال الوطنية ويوفر على البلاد
مشاكل سياسية لا حصر لها !

وإذا كانت صناعة بلد ما منظمة الى هذا الحد فلا بد
من ان يكون الميزان التجاري فيه معتدلاً جداً .

الباكستان بلد زرع ومرعى في الاكثر ، وفيه من
المواد الاولية الخيوط كالقنب الهندي والقطن والصوف ، ثم
فيه الشاي والحبوب والجلود بما تحتاج اليه الاسواق العالمية

حاجة شديدة . فالحيوط تأتي في باب التصدير في المرتبة الاولى ، وقد صدرت الباكستان في عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ تسعين بالمائة من محصول القنب وقبضت ثمنه خمسمائة وعشرين مليوناً من الروبيات . وكذلك صدرت اكثر من ثمانمائة الف بالة قطن ثمنها ثلاثمائة وخمسة وخمسون مليون روبية . ثم هي تصدر في العام نحو عشرين الف طن من الشاي وما يزيد على نصف مليون طن من القمح .

*

ولا يحفظ الثروة الوطنية في بلد شيء كالمصرف الوطني ، فالامة التي تتروك زمام عملتها في يد الاجنبي لا يمكن إلا ان تكون امة مقودة . وقد عرف الاجانب ذلك ، فما كادت الباكستان تنفصل عن الهند حتى غادرها اصحاب البنوك والموظفون غير المسلمين رجاء ان يقف دولاب المال في الدولة الناشئة فتتعرقل اعمالها وتتلشى حياتها الاقتصادية . واستطاع قادة الباكستان أن يخرجوا من هذا المأزق بان وضعوا للحياة المالية منهاجين : منهاجاً قصير الامد يقوم على اغراء اصحاب المصارف الموجودة بالبقاء لقاء امتيازات حاقمة . وهكذا بقي اربعة وثلاثون مصرفاً اجنياً وموظفون في تلك المصارف من غير المسلمين كفلاوا تسيير شؤون المال والتجارة على نطاق ضيق ، ولكنهم حموا الحياة الاقتصادية في البلاد من التدهور والجمود .

أما المنهاج الطويل الامد فكانت غايته انشاء مصرف

وطني واعداد موظفين وطنيين أمناء على ثروة الباكستان و رقيها الاقتصادي . ولكن انشاء مصرف وطني يتمتع بثقة اصحاب الاموال الوطنيين ويكون له في الوقت نفسه مقام مرموق في عالم التجارة الخارجية - وخصوصا في تلك الازمات القاسية التي مرت بالباكستان - لم يكن امراً يسيراً .

واستطاعت الباكستان في مدى عشرة اشهر من استقلالها ان توجد مصرفين احدهما المصرف القومي ورأس ماله ستون مليون روبية ساهمت الحكومة بربعها ، ثم مصرف الدولة الذي وضع له رأس مال مبدئي قدره ثلاثون مليون روبية مقسومة على ثلاثمائة الف سهم . وقد غطت الحكومة واحداً وخمسين بالمائة من الاسهم وطرحت الاسهم الباقية في الاسواق المالية ليحملها الوطنيون .

هذا المصرف هو مصرف الاصدار والاحتياط . ولقد اوجبت الحكومة على سائر المصارف في الباكستان ان تودع في هذا المصرف جزءاً من مالها الاحتياطي فبلغ ذلك في ٣١ آذار ١٩٥٠ ملياراً ومائتي مليون روبية . وهكذا لم يجد الاجانب المستعمرون منفذاً الى أسس الاقتصاد في الدولة الناشئة .

ولم تكن حاجة الباكستان الى مصرف وطني فقط ، بل كانت تحتاج ايضاً الى عملة وطنية ، فاستطاعت ان تطرح تلك العملة في الاسواق في ٣١ آذار عام ١٩٤٨ .

وسرعان ما تمتعت العملة الباكستانية بمقام مرموق في
الاسواق الدولية لحاجة تلك الاسواق الى المواد الاولية التي
تنتجها الباكستان .

ألا إن كل استقلال سياسي لا يتبعه استقلال مالي لا
يمكن إلا ان يكون استقلالاً ناقصاً !

سياج الوطن

لقد كان من المستحيل على المسلمين ان يعيشوا مع الهندوس في وطن واحد ، ولذلك قامت باكستان . على ان العداوة - بعد انفصال الدولتين - لم تمت ، ولذلك ترى باكستان نفسها مجبرة على ان تخص الجيش بواحد واربعين بالمائة من ميزانيتها ؛ ولا غرو فالجيش ، في البر والبحر والجو ، سياج الوطن . ولعلك تعذر باكستان في ذلك اذا علمت ان الهندستان تنفق على الجيش ستاً واربعين بالمائة من مجموع الميزانية .

تحتاج باكستان الى جيش كبير قوي ، بل هي في الحقيقة محتاجة الى جيشين كبيرين قويين ليكون احدهما في الجزء الشرقي والآخر في الجزء الغربي ، ذينك الجزئين اللذين يبعد احدهما عن الآخر مسافة تزيد على الف ميل ! وتزيد تلك الحاجة الى دفاع قوي اذا اعتبرنا ان الهندستان تتاخم باكستان من اكثر جهاتها ، وخصوصاً البنغال - الجزء الشرقي - الذي تحيط به اراضي الهندستان من جهات ثلاث . ثم ان منفذ ذلك القسم على المحيط الهندي واقع

بين شاطئين هندستانيين . وتزيد المشكلة تعقداً اذا علمنا ان الهندستان لا تزال تعتقد ان بعض التخطيط الحالي موقت . ثم ان الباكستان تتأخم دولاً كبرى محاربة كالصين والاتحاد السوفياتي .

ولكن الجندي الباكستاني معروف بالشجاعة والطاعة ، ولا سيما اذا كان من الباتان ، اي من سكان المقاطعات الشمالية الغربية من الباكستان . والباتان قبائل جبلية قوية الشكيمة ابية النفس بارعة في القتال وطيدة الايمان . انهم « دروز » الهند . هذه القبائل لم تخضع للانكليز قط - طوال القرون الثلاثة التي جعل فيها الانكليز من الهند كلها امبرطورية لهم . ولم يضع رجال الباتان السلاح عن اكتافهم من قبل ولن يضعوه بعد اليوم حتى تطمئن الباكستان وتصبح عزيزة مرهوبة الجانب في كل مكان . ولقد رأيت انا وفودهم تحضر الدورة الثانية من مؤتمر العالم الاسلامي وبنادقهم معلقة باكتافهم الشاحخة . وهم كانت تتضاءل عنجبية العروبة في نفسي حينما كنت اسمعهم يصرخون - وقليلاً ما كانوا يتكلمون - : « فلسطين قبل كشمير ! »

*

ولقيت الباكستان مصاعب كثيراً بعد انفصالها عن الهند في اعادة تنظيم الجيش ، ذلك لأن جنودها كانوا مفرقين في البلاد ، ولان عدد اصحاب الرتب العليا من المسلمين كان قليلاً - وذلك من اثر السياسة البريطانية في تنظيم الجيش

الهندي من قبل . ثم جاءت الفتن والاضطرابات وسيول
اللاجئين فاشتدت وطأة المهمة الملقاة على عاتق الجيش .
وكذلك لم تكن المعدات العسكرية بأيدي الجنود كافية ، فان
الهندستان لم تدفع الى الباكستان نصيبها الكامل من المعدات
التي كانت في يدها لما غادر البريطانيون الهند .

ومع هذا كله فان الايمان والحكمة وحب الوطن قد
سهلت على الدولة الناشئة تنظيم جيش يستطيع ان يؤدي
واجبه في الملمات على اكمل وجهه . وليس الجيش
الباكستاني اليوم - مع كل ما قام في وجهه من
المثبطات - اقل قوة من الجيش الهندي ، على ما بين عدد
النفوس في الدولتين من الفرق الكبير .

واحبت الباكستان ان تستفيد من المرأة الباكستانية
في الجيش . ألم تكن النساء في صدر الاسلام يذهبن في
الغزوات ، ينقلن الماء ويشجعن الرجال ويضمدن
الجراح ، أو يحملن السلاح ليقاتلن عند الضرورة ؟ كذلك
فعلت الباكستان فانشأت من الفتيات فوجين في الحرس
الوطني يقمن باعمال الاسعاف والتمريض ، ولكن يتمرن
ايضا على استعمال الاسلحة الخفيفة . ولما شاهد امبرطور
ايران في اثناء زيارته للباكستان فتيات الحرس الوطني
يسرن في الاستعراض بقدودهن الرشيقة وثيابهن الانيقة
ويحملن بايديهن السلاح قال : هذه خطوة يجب على جميع
الشعوب الاسلامية ان تخطوها !

وكانت إعادة تنظيم الاسطول أشق من إعادة تنظيم الجيش .

لما اقسمت الهندستان والباكستان الاسطول الهندي كان نصيب الباكستان ثماني قطع حربية متوسطة وثمان صغرى . ولكن هذه القطع ليست كافية للدفاع عن شواطئ الباكستان ، وما تفعل ست عشرة قطعة حربية صغيرة في حماية شواطئ تمتد الفاً ومائتي كيلومتر ، ثم هي قسام يفصل بينها اربعة آلاف كيلومتر اخرى من الشواطئ الهندستانية ! ومع ان الباكستان قد عززت هذه النواة الصغيرة لاسطول المستقبل ببضع مدمرات ، فان المشكلة الحقيقية نشأت من ان قسماً غير قليل من بحارة الاسطول الهندي المسلمين ، ولا سيما اصحاب الرتب العليا ، قد اختاروا أن يبقوا في الهندستان . وهكذا قلت نسبة الضباط في الاسطول الباكستاني بالاضافة الى عدد البحارة من الجنود العاديين . وهناك ايضا مشكلة اخرى : ليس في الباكستان احواض لاصلاح السفن ، فعلى السفن المحتاجة الى الاصلاح ان تتوجه الى سنغافورة في اقصى الجنوب من قارة آسية ، او الى مالطة في منتصف البحر الابيض المتوسط ، او الى بريطانيا في غربي اوروبه . ولكن ينتظر ان تنشئ الحكومة قريباً حوضاً جافاً لاصلاح السفن . وفي الاسطول اليوم فتيات على مثال ما في الجيش ، ولكنهن متطوعات .

اما في الطيران - وهو سلاح المستقبل - فان
الباكستان قد حققت تقدماً كبيراً جداً . انها تعزز
اسطولها الجوي بآخر مبتكرات الطيران الحربي في الطائرات
العادية والطائرات النافورية وفي الطيران الشراعي وفي انشاء
محطات للملاحظات الجوية والرادار ، وبانشاء مدارس التعليم
والتمرين ، وحباً منها في تهيئة اعصاب الجيل الناشئ وصقل
موهبته للطيران وفنونه . انشأت الباكستان فرق
« الكشافة الجوية » . يلحق الناشئون بمدارس تعلمهم
الطيران نظرياً وعملياً وتمرينهم منذ نعومة اظفارهم على
امتطاء الجو ، فتقل في نفوسهم رهبته اذا شبوا وتعظم
خدمتهم لبلادهم وامتهم اذا دعاهم داعي الوطن . ان الامة
التي تود ان تظل حية في المستقبل يلزمها ان تعي وسائل
الحياة لنفسها قبل ان يفجأها المستقبل بعجائبه !

الاسلام اساس الحياة

ليس الاسلام صباغاً ظاهراً على الحياة الباكستانية ، بل هو نسيج هذه الحياة كلها . ان التشريع يقوم في اساسه على الاسلام ، والادارة تدور كلها على الاسلام ، فلهججاج وزارة ملحقه بوزير الخارجية . ولعلك ، اذا درست الناس عن كتب وراقبت اعمالهم في البيت والشارع وفي المجالس والمجتمعات ، لا تضع تلك الروح الدينية الشائعة في الحياة الباكستانية . ولا غرو ، فلولو الاسلام لما قامت دولة الباكستان .

كنت يوم الجمعة في التاسع من شباط ذاهباً الى صلاة الجمعة ، فلما نزلت من السيارة ابتدرني رجل من عرض الناس بالسلام ، ثم قال لي : أنت عربي من الوفود التي جاءت الى حضور مؤتمر العالم الاسلامي ؟ فقلت نعم ! فأمسك بعصدي وهزه هزاً رقيقاً ثم قال : صحيح ان قبة المسجد النبوي في المدينة مهددة بالسقوط ؟ (وكانت الاخبار قد تواترت بذلك) . ولكنه لم ينتظر جوابي بل تابع حديثه قائلاً : أتريد او تسمح بان نجتمع نحن هنا

مبلغاً كبيراً لاصلاح تلك القبة . اننا نحن المسلمين في الهند قد قمنا بمثل هذا الجمع مرات كثيرة من قبل . فشكرته ثم قلت له : اطمئن ، يا صاحبي . انني علمت قبل مغادرتي بيروت ان اصحاب الجلالة ملوك العرب قد اهتموا بذلك ، وسترمم تلك القبة المقدسة قريباً . ثم تركته ودخلت المسجد .

وكراتشي ليست بلداً تاريخياً ، ولم تكن من المدن المزدهمة بالسكان ، فليس فيها مساجد اثرية ولا مساجد متسعة . ولكن لما اصبحت عاصمة للدولة وازدهمت بالسكان عظمت الحاجة فيها الى الابنية من كل نوع فاذا البناء فيها منذ اربعة اعوام على قدم وساق . ولا يزال البناءون مقصرين عن سد حاجات الناس .

والمسجد الذي صليت فيه تلك الجمعة كان قيد البناء ايضاً : كان ثلثه مسقوفاً ، وثلثه لم يحف سقفه بعد فتنزع من تحته دعائم الخشب ، وثلثه فضاء . والقي الاستاذ سعيد رمضان - وقد عرفته بيروت وطرابلس ودمشق وحلب وسواها من البلدان العربية - خطبة باللغة العربية فأطال وأجاد حتى اخذ بمجامع قلوب الذين يعرفون العربية من المصلين . ثم صليت الظهر . وبعد الصلاة قام واعظ خطب بالاردية . كل هذا والناس تحت شمس كراتشي المحرقة في اماكنهم لا يرمون . لقد شغلهم الاسلام عن كل ما سواه . ان سياسة الباكستان الاسلامية ليست فرضاً من حكومة

مستبدة على شعب مائع ، بل هي رغبة شعب مؤمن قوي
تنفذها حكومة مخلصه عادلة .

وكانت صور الحياة الاسلامية الصحيحة تتوالى امام عيني
في كل يوم وفي كل مكان حتى عن لي ان اصارح بعضهم
القول فأسأل ما اذا لم يكن لذلك شواذ . أليس هنالك
أماكن لبيع الخمر ، ومرانع للهو ؟ فقبل لي : ومن يدري
منا ! لعل ثمت هذا واكثر . ولكن ثمت فارقاً بين دولة
يفوتها ان تضع قبضتها على آخر حانة في البلاد وبين دولة
تصدر باسمها وبجائتها اجازات لبيع الخمر وتوزيع اللهو .

ومن الاتجاه الصحيح في سياسة الدولة ما سمعته مرتين أو
ثلاثاً من ان سمسرة الافلام جاءوا بشيء من الانتاج الرائج
لعرضه في الباكستان . فلما عرضت النماذج على لجنة المراقبة
لم يكن من هذه اللجنة إلا ان منعت عرض الافلام العربية
لكثرة ما فيها من المناظر التي تنافي الاسلام ، وتحول بين
الدولة وبين ان تنشئ جيلا صحيح الاخلاق سليم الابدان
متوابط الاواصر موحد العقيدة . وما يقال عن الافلام
العربية يقال عن الافلام غير العربية ، فلقد حرصت على ان
اقرا اعلانات السينما على الجدران فلم اجد فيها ذلك التلويح
بالفسق الذي اراه موزعاً في شوارع بيروت .

*

ولا يستطيع الباكستاني ان يجعل نطاق الدين ضيقاً ، بل
يراه يشمل كل شيء .

في احدى جلسات المؤتمر وزعت علينا نشرة بالانكليزية
اسمها : « مبادئ اساسية لاقامة دولة اسلامية » ، وضعت في
اجتماع للعلماء من اتباع المذاهب المختلفة . في هذه النشرة
ملاحظات أقرها المجتمعون فأحسبت ان اثبت منها ما يلي
(الارقام هي ارقام المواد في الاصل) :

١ - ان السلطة المطلقة على الطبيعة وعلى جميع القوانين
راجعة الى الله رب العالمين .

٢ - ان قانون البلاد يجب ان يبنى على القرآن والسنة .
ولا يجوز ان يسن قانون او ان يعمل به (ان كان مسنوناً
من قبل) اذا كان يناقض ما جاء في القرآن والسنة .

٣ - ان الدولة (الاسلامية) لا يجوز ان تُبنى على
الاعتبارات الجغرافية او الجنسية او اللغوية او اي اعتبار
مادي آخر ، ولكن على المبادئ والغايات المعروفة في نظام
الحياة الاسلامية .

١٢ - يجب ان يكون رئيس الدولة رجلاً مسلماً يثق
الشعب او ممثلو الشعب بتقواه وقدرته وصحة عقله .

١٤ - ان حكم رئيس الدولة على الرعية لا يكون
استبداداً بل شورى ...

١٥ - لا يحق لرئيس الدولة ان يعلق تنفيذ الدستور
ولا أن يعلق بعض مواده .

١٦ - ان الهياة التي اعطيت السلطة لانتخاب رئيس
الدولة يجب ان تكون لها السلطة على خلعها باكثرية الاصوات .

١٧ - يكون رئيس الدولة - فيما يتعلق بالحقوق المدنية - مساوياً لكل مسلم آخر ولا يجوز له أن يتخطى القوانين .

٢٢ - كل تأويل للدستور يخالف مضمون القرآن والسنة لا ينفذ شرعاً .

كنت أود ان اذكر اسماء العلماء الذين اجتمعوا واتخذوا هذه المقررات واذكر مراكزهم الدينية والاجتماعية والمدنية ، ولكن ذلك وراء قصدي من اثبات المواد المذكورة آنفاً . على انك قد تقول ان هذه المواد لا تعدو أن تكون رأياً شخصياً لثلاثين عالماً او أكثر او أقل ، ولا يمكن ان تعبر عن رأي الدولة . لا ، ان الامر على خلاف ماقد نظن ، وان نفرأ من هؤلاء مشهود لهم بالتقوى او بالعلم او بالاخلاص . ثم ان الدولة لا تخرج في رأيها عن هذه القيود .

كتب الدكتور اشتياق حسين قرشي ، حامل حقيبة اللاجئين والاسكان في وزارة الباكستان ، مقالاً عنوانه « دستور الباكستان المقبل » ظهر في مجلة « باكستان » في كراتشي ، وفي « المجلة الاسلامية » في لندن . قال الدكتور قرشي :

« ان دستور كل دولة يجب ان يكون مرآة للمثل

(١) Pakistan, Vol. I, No. 4 (August 1950) pp. 5 - 8, 81; Islamic Review, Vol 38, No. 12 (Dec. 1950) , pp. 31 - 5 .

العليا التي يريد شعب تلك الدولة ان يجعلها اساسا لحياته السياسية . وتلك المثل العليا في الباكستان لم تكن يوماً ما موضوع جدال ولا غامضة . ولقد أبرزت الآن واضحة في المقررات الموضوعية التي اتخذها المجلس التأسيسي . إن أبرز خصائص تلك المقررات ان يكون دستور الباكستان منبنياً على المثل العليا في الاسلام » . ثم يمضي الدكتور قرشي في شرح ذلك وتفريعه . وهو ايضا لم يتعرض لحل تبعة هذه الكلام من عند نفسه ، بل اعتمد في ذلك على المقررات التي اتخذها المجلس التشريعي .^٢

ولو أنك استعرضت معظم نواحي الحياة في الباكستان لما رأيتها تبتعد عن هذه الاسس كثيراً ، فدعني اضرب لك مثلاً من اسماء البيوتات التجارية . هنالك شركة كهوى اسمها « شركة بان إسلامك للملاحة » (الشركة الاسلامية ، الجامعة للملاحة) ، وهنالك زيتوت « ماركة المجاهد » . وهنالك « المخزن الاسلامي » .

مثل هذه الروح في دولة ما تؤدي رسالتين : رسالة الخلق النبيل . العزة والاخوة ثم رسالة الرقابة على الحكومة . تلك هي عناصر الشورى الصحيحة واسس الدولة الديمقراطية الحق .

(2) Cf. Pakistan op. cit. P. 7.

شقائق الرجال وامهات الابطال

كيف يمكن لأمة ان ترقى اذا كان نصف افرادها محبوساً في البيوت ؟ هذا هو السؤال الذي مازال يشغل العالم الاسلامي منذ الف عام ، منذ اليوم الذي جهل اكثر المسلمين حقيقة الحجاب الشرعي فشلوا حركة المجتمع الاسلامي إذ فرضوا على المرأة حياة أرستوقراطية معزولة جامدة .
وانني ارى مخلصا ان صورة الباكستان لا يمكن ان تكون قريبة من التمام اذا اهملنا الكلام على المرأة فيها ، ذلك المظهر العظيم من مظاهر التطور والرقى في تلك الدولة الناشئة . ولكن لا بد من تقديم كلمة موجزة في الحجاب في الشرق الاقصى .

كان الحجاب في الهند كلها وفي ما جاورها من الاصقاع أيضا شديداً جداً . وهو يعرف هنالك باسم « البودة » .
اما اليوم وفي كراتشي خاصة فالبودة نادرة ، ولم أرأنا في نطاق تجولي سوى نساء معدودات يتخذنها زياً هن .

والبودة غطاء ابيضٌ سابغٌ مجموع في أعلاه على قدر حجم الرأس ، ثم يمتد نزولاً حتى يتصل بالارض او يسكاد . وله في اعلاه دأرتان صغيرتان عند العينين تصنعان من نسيج



ثياب شلوار

اقل كثافة من الغطاء
نفسه . والمرأة في البردة
لا يمكن ان تعرف أفتاة
هي ام عجوز ، اهزيلة
ام سمينة ، ابيضاء ام
سوداء ؟ وكذلك يعسر
المسير على المتحجبة
بالبردة فتنتقل من مكان
الى مكان راكبة في
الاغلب .

على ان مجموع النساء
اللواتي شاهدتهن في
كراتشي كن يتحجبن
بالحجاب الشرعي : كن
يلبسن ثوباً سابغاً من
أعلى العنق الى الكعيبين
يدعى « ساري » . ومنهن
من تلبس الشلوار
والقميص ، وهو لباس
سابغ رصين ولكنه مع
ذلك رشيق انيق . وكلهن

(١) الشلوار كلمة فارسية تعريبها سروال لفظا ومعنى .

يضعن على رؤوسهن غطاءً سابقاً أيضاً. وهكذا لا يظهر من المرأة في ثوبها الوطني إلا الوجه والكفين ، ولا يبدو فيه من زينتها إلا ما لا بد من ظهوره . وهذه الزينة خفيفة على كل حال . وربما ظهرت المرأة الباكستانية في ثوب اجنبي سابق ذي كمين ينذر ان يكونا قصيرين .

والواقع ان المرأة الباكستانية في المدن قد خرجت من الحجاب الارستوقراطي الاستبدادي الى الحجاب الشرعي . ولم يكن لها بد من ذلك بعد ان انخرطت في الحياة الصحيحة في التمريض والطبابة والادارة والسياسة والتجارة والصناعة والطيران المدني وفي الجيش والاسطول . على انني اعتقد موقنانهن ان تخرج الى السفور المفسد الذي نراه في اكثر البلاد العربية . ولقد تناول كلامي الحجاب في المدن لأن المرأة في جميع القرى والبوادي سافرة لم تألف هذا الحجاب الاصطناعي .

*

والحركة النسائية في الباكستان لم تخرج في اول امرها عن نطاق الحركات النسائية في سائر اقطار العالم في مبدأ امرها أيضاً : نشاط اجتماعي محدود وسعي في سبيل الاحسان وشيء من الخدمة الاجتماعية إلا في النادر . وقبل ان تستقل الباكستان عام ١٩٤٧ كانت المرأة المسلمة اكثر اعتزلاً للحياة العامة حتى انها لم تكن تتعلم التمريض لاعتقاد المسلمين في الهند ان الفتاة المحافظة والتي هي على

شيء من الغنى لا يجوز ان تعمل مبرضة . ذلك كان في دور الانكماش في ايام الاستعمار . ولكن ما ان اصبح للمسلمين دولة في الهند وبدت تكاليف الاستقلال أمام العيون حتى وجد المسلمون انفسهم مضطرين الى اطراح التزمّت المبالغ فيه والى الاخذ بسنن الحياة بما لا يعارض الاسلام . بل ان الاسلام يبحث على هذا النوع من الجهاد .

ولقد أشار محمد علي جناح الى هذا الانكماش السابق حينما قال : « أنا اعلم ان النساء المسلمات قد وقفن - في اثناء الكفاح الطويل في سبيل تحقيق الباكستان - صفاً مرصوحاً وراء رجاهن . ولكن لا يجوز في الكفاح الاكبر المقبل لبناء الباكستان أن يقال ان نساء الباكستان قد تخلفن عن الرجال او انهن اهملن القيام بواجبهن » .

ومن الحركات النسائية القديمة في الهند حركة المرشدات . تأسست حركة المرشدات ١ في الهند عام ١٩١١ وكانت حركة مشتركة . فلما استقلت الباكستان لم يبق من المعقول ان تبقى الفتيات المسلمات في الباكستان مرتبطات بالمراكز الهندوكية في الهندستان . من اجل ذلك استقلت حركة المرشدات المسلمات في التاسع والعشرين من كانون الاول عام ١٩٤٧ ، فاذا في الباكستان اليوم عشرة آلاف مرشدة أدّين لأمتهم في خلال تدفق سيول اللاجئين خدمات جلي في العناية الصحية وتخفيف الآلام وجمع الطعام واللباس .

(١) حركة المرشدات بين الفتيات تقابل حركة الكشافة بين الفتيان .

ولما استقلت باكستان ثم امتلأت المستشفيات بالمرضى والمشوهين والاطفال الايتام لم يبق من المعقول ان تظل الفتاة المسلمة في معزل عن صناعة التمريض . فاسست الحكومة ستاً وعشرين مدرسة للتمريض يتخرج فيها نحو ٥٠٠ ممرضة كل عام . ولكن هذا عدد ضئيل جداً بالاضافة الى بلاد تعد ثمانين مليون ، لذلك تشجع الحكومة الفتيات الآن على امتحان التمريض بلا تثقيف علمي كامل ثم تعهد اليهن باعمال اقل خطراً في تمريض المرضى وحفظ الصحة .
ويتبع التمريض التطبيب .

ان الحاجة الى الطبيبات في باكستان ملحة جداً ولا سيما اذا علمنا ان القسم الاعظم من النساء يفضلن ان يتطبن على يد امرأة . من اجل ذلك انشأت الحكومة في لاهور كلية طبية خاصة بالفتيات لتجعل منهن طبيبات للنساء ولتفتح امام الفتاة شعاب الحياة كما فتحتها امام الفتى .

وكذلك استفادت باكستان من جهود النساء - وفي باكستان اربعون مليون امرأة - فهناك نساء كثيرات في دور الصحافة والنشر وفي التلفون والسكك الحديدية وخطوط الطيران المدني وفي الاذاعة والشركات وفي الادارة كالبريد والكمرك وسواهما .

والمرأة الباكستانية صناع اليدين تتقن صناعات خفيفة كثيرة . وقل بيت ليس فيه صناعة من خياطة وتطريز وزخرف او من غزل ونسج او نقر في الخشب او حفر في

النحاس او صنع اثاث للبيوت . ومع ان هذه الصناعات
ليست وقفا على النساء فان للمرأة فيها سهبا وافراً .



الآنسة فاطمة جناح

على ان السيدة رازية (راضية) غلام علي تعد المرأة
الاولى في عالم الصناعة في الباكستان . انها تشرف اليوم

على معمل من اكبر المعامل لصنع الانابيب من الاسمنت ،
وهي تأمل ان يتسع عملها في المستقبل فوق اتساعه الحاضر
وان تصنع الانابيب من الاسمنت والحديد على السواء ،
وان تصنع ايضا أدوات متنوعة في هذا الباب .
ولقد مرّ معنا شيء من الكلام على المرأة في الجيش
والاسطول .

*

وإذا نحن خرجنا من التعميم في الحركة النسائية الى
التخصيص ، وجب ان نذكر اول ما نذكر الآنسة فاطمة
جناح ، اخت القائد الاعظم محمد علي جناح ورفيقته في
جهاده قبل تأسيس الباكستان وبعد تأسيسها .
ولقد أدت فاطمة جناح رسالة الايمان والوحدة ، والطاعة
بين النساء المسلمات وجمعتهن تحت لواء حزب الرابطة
الاسلامية . ولم يكن تنفيذ ذلك سهلا قط .
وبتأسيس الباكستان زادت التبعة على فاطمة جناح اذ
وجب عليها ان تقوم باعمال الاصلاح الاجتماعي وان تقف
على رأس الحركة النسائية ، فأست في كراتشي لجنة
الاغاثة النسائية للاجئين وجمعيات اخرى كثيرة . ولما
توفي اخوها اعتزلت هي الحياة العامة ولكنها ظلت تؤدي
قسطها من الخدمة الاجتماعية في سبيل المرأة وظلت تعنى
باللاجئين .

والمرأة الباكستانية دخلت الحياة السياسية بلا ضجة ،

وحسبنا في هذا المقام كلمة عن السيدة جهان آرا شاهنواز ابنة
السياسي الكبير ميان محمد شافع . هذه السيدة رأست المؤتمرات
المحلية وعملت في الاصلاح كثيراً . وفي عام ١٩٣٠ رافقت



جهان آرا شاهنواز

أباها الى المؤتمر الامبراطوري في لندن فكانت امينة سره .
ولما تقرر في الدورة الثانية لمؤتمر الطاولة المستديرة عام
١٩٣٢ ان ينظر في وسائل للاصلاح في الامبراطورية
الهندية كانت السيدة جهان آرا شاهنواز مندوبة في اللجنة

المكلفة بذلك. وفي العام نفسه مثلت الهند في عصبة الامم .
وفي عام ١٩٣٣ حضرت مؤتمر الطاولة المستديرة وانتخبت
عضواً للجنة المختلطة فيه . وفي عام ١٩٣٥ مثلت بلادها
في مؤتمر العمل الدولي في جنيف بسويسرة .

أما في موطنها فانها تقلبت في مناصب كثيرة ، فقد
انتخبت عضواً للمجلس التشريعي في مقاطعة البنجاب .
وفي اثناء الحرب العالمية الثانية كانت عضواً في لجنة الدفاع
الوطني . وفي عام ١٩٤٢ مثلت وطنها في مؤتمر بلاد
الباسيفيك الذي انعقد في كندا . وقد قبض عليها وسجنحت
في حركة العصيان المدني التي اعلنتها الرابطة الاسلامية في
البنجاب عام ١٩٤٧ . وهي الآن عضو في المجلس التأسيسي .

المشكلة الحقيقية

لما انعقدت الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي في
مدينة كراتشي في شباط المنصرم انعقد بجانبها مؤتمر للسيدات .
ومع انه كان للسيدات اجتماعات وحفلات خاصة بهن ، فان
نفرأ منهن كن يحضرن بعض الحفلات التي كانت تقام
للرجال ، ولكن كن يحتلن جانباً معيناً من مكان
الاجتماع او كن يجلسن في اماكن مستقلة . ولكن هذا لم
يجل دون ان تقوم واحدة منهن احيانا فتقدم الشاي او
الحلوى لعدد من الذين يجلسون على المقاعد القريبة .
لقد كانت المرأة الباكستانية في مثل هذه الحفلات مثلاً

للادب الاسلامي الخالص .

وفي بعض الحفلات الاخيرة اقيم لنا عشاء سريع .
فاتفق ان تقدمت انا والاستاذ ابو بكر احمد حلیم رئيس
جامعة السند من احدى الموائد . فلما وضع كل واحد
منا شيئاً من الطعام في طبقة التفت الي الاستاذ حلیم وقال :
اين تريد ان تجلس ؟ فقلت له : نجلس هنا ، واشرت الي
مقعدین قريبين . فقال : ولكن هذين المقعدین من المقاعد
المحجوزة للسيدات ؛ ولقد كان علي كل مقعد منها بطاقة
كتب عليها « محجوز للسيدات » . حينئذ انحنيت انا
ورفعت بطاقتين عن مقعدین ثم قلت له : لم يبق هذان
المقعدان الآن لمحجوزين للسيدات . وجلسنا هنالك نأكل .
وكان قبالتنا سيدتان احدهما من سيلان والثانية من
بورما . فتناولنا الكلام على اعمال المؤتمر بالتطويل . فلما
وصلنا الي اعقاب الحديث قلت لهما : ان المناقشات التي
دارت في مؤتمر الرجال لم تختلف من المناقشات التي
دارت في مؤتمر السيدات . وأرى اننا جميعاً نفكر في
اتجاه واحد فلماذا نخسر من وقتنا بعقد اجتماع خاص
بالسيدات وآخر خاص بالرجال ؟ أليس من الافضل ان
تكون الدورة القادمة من هذا المؤتمر مختلطة فنربح في
الزمن ونربح في الآراء ؟ فاستحسننا ذلك .

وبعد العشاء احببت ان استطلع رأي اخواني الرجال
من اعضاء الوفود العربية خاصة . وكان من الذين حادتهم

شيخ واحد ابتسم وسكت . ولكن نقرأ من المشايخ ومن غير المشايخ ابدوا مقاومة لهذا الرأي شديدة ثم اخذوا يلقون علي محاضرات في الاخطار التي يمكن ان تنجم من ذلك . وطال الجدل واحببت ان اضع القضية على اساس شخصي واضح . فتوجهت بالكلام الى احدهم وسألته : أتذهب انت الى السينما عادة ؟ فقال : نعم . قلت أمتزوج انت ام عزب ؟ فقال بل متزوج . فقلت أتذهب وحيدك الى السينما ام تصطحب زوجتك ؟ قال : بل نذهب معاً . حينئذ قلت له : اي المسكين آمن عاقبة : آالذهاب الى السينما ام حضور المؤتمرات ؟ فقال : ولكن حينما اذهب انا الى السينما اغير زبي هذا ... فلم ادعه يتم كلامه بل قلت له : ارجوك ان تفكر في هذا الموضوع ملياً ، فلعله ينفتح لك فيه باب للرأي جديد ! وبعد نصف ساعة رجع صاحبي إلي وقال : ان الاجتماع المختلط في جلسات مؤتمر اسلامي لا خطرَ منه عظيمًا كما قد يتخيل بعض الناس ، ثم هو على كل حال آمن عاقبة من حضور السينما .

ان حقيقة المشكلة مبسطة في ما يلي :

لقد دخلت المرأة الباكستانية معترك الحياة : في التمريض والطب والتجارة والصناعة وفي الجيش الاسطول وفي المجالس التأسيسية ودوائر الحكومة ، فلم يبق ثمث مبرر لامتناعها عن حضور المؤتمرات . اما المشكلة العربية فمختلفة من ذلك : ان المرأة العربية قد بدأت الاختلاط من الجانب الآخر : بدأت

بالسيدنا وحمامات البحر وبالنزاهة وحفلات الشاي والكوكتيل .
من أجل ذلك لانرى نحن الا الجانب السيء من السفور .
فلو ان المرأة العربية تفعل فعل اختها الباكستانية لما
كانت مشكلة اصلاً . وعندى ان الاستعمار العربي قد
قصد ان يتلف جانباً مهماً من حياتنا الحلقية فخلق لنا هذه البلبلة
في قضية المرأة .

ان الوطن العربي لن يستطيع ان يحفظ اخلاقه ولا ان
يهيء الجو الصالح للمرأة لتستفيد من مواهبها الا اذا اعد
لها برنامجاً جديداً للتربية والتعليم . ان فتياننا وفتياتنا لم
يتعلموا في الجيل المنصرم الا ما كان اقرب الى الاضرار
بهم منه الى النفع لنا . فعلينا ان نبدأ سياسة تربوية من
جديد ، وخصوصاً في ما يتعلق بالمرأة .



تراث الاستعمار

المستعمر لا يريد ان يعلم ابناء البلاد الخاضعة له ، واذا اضطر الى ان يعلمهم علمهم ما يضرهم اكثر مما ينفعهم . من اجل ذلك لا نستغرب اذا علمنا ان الانكليز لما غادروا الهند كان عدد الاميين فيها قد أصبح ثمانية وثمانين بالمائة من مجموع اربعمائة مليون نفس . اما الذين كانوا يستطيعون قراءة شيء في لغاتهم المحلية فكانوا نحو اثني عشر بالمائة ، واما الذين تعلموا شيئاً من الانكليزية فكانوا اثنين بالمائة فقط . وكان ربع المتعلمين فقط من الاناث .

فالجهل احد اوجه التراث الذي يخلفه المستعمر في كل بلد - هذا اذا اضطر الى ان يغادر ذلك البلد . على ان الامية كانت اكثر تفشياً بين المسلمين منها بين غير المسلمين على غرار ما نجد في جميع البلاد التي عرفت الاستعمار . لما استولى الانكليز نهائياً على الهند اخذوا يقضون على عناصر العزة وعلى مظاهر القومية في الهنود ثم حاولوا ان يخضعوهم لمناهي حياتهم هم - تماماً كما يفعل كل مستعمر

في كل بلد ينزل فيه . من ذلك انهم قضاوا ما استطاعوا
على الحركة الثقافية وفرضوا على الموالين لهم من اهل البلاد
تعلماً انكليزياً استعماريًا .

وابتعد المسلمون في الهند عن التعلم بعاملين : أولهما
ان الانكليز اخذوا يزؤونهم عن العلم حتي يغمروهم الجهل
فيففلوا عن ماضيهم ويفقدوا إدراكهم لقيمة الحياة الحرة -
والمسلمون في الهند كانوا أشد سكانها مقاومة للانكليز .

واما ثاني ذينك العاملين في الابتعاد عن التعلم فكان
كره المسلمين انفسهم للعلم الذي جاء به الانكليز لأنه علم
غربي اجنبي . ولقد كان لهذه « السلبية » اسوأ الاثر في
المسلمين ، فقد غرقوا في جهل بعيد القعر وخسروا الجزء
الافر من نفوذهم السياسي . ولكن « سلبية » المسلمين
لم يكن مقدراً لها ان تطول ، فقد ظهر على مسرح
السياسة الهندية مصلح عظيم قدّر له ان يبدل مجرى
تاريخ المسلمين من الهنود . ذلك هو السيد احمد خان
(١٨١٧ - ١٨٩٩ م) الذي ادرك ان انكماش المسلمين
عن العلم مضر بهم فحثهم على طلب العلم الغربي وعلى
تعلم اللغة الانكليزية ، ثم اسس جامعة عليكره المشهورة
لترجمة العلوم الغربية وتدريسها فبعث النهضة الثقافية في
الهند كلها ؟

ومع هذا كله فان المسلمين ظلوا في مضمار العلم متخلفين
نحو خمسين عاماً عن الهنوس . وكان تأخرهم في الحياة

السياسية على مقدار ذلك . ولن تعلم مدى الاذى الذي اراد الانكليز ان يوقعوه بالمسلمين في الهند في جميع ميادين الحياة إلا اذا علمت انه لما غادرت انكلترة الهند عام ١٩٤٧ ، كان هنالك سبع وثمانون مدرسة فنية . فلما تم التقسيم كان ست منها فقط في المقاطعات الاسلامية وواحدة وثمانون في المقاطعات غير الاسلامية . حتى هذه المدارس الست التي كانت في المقاطعات الاسلامية كان اكثر أساتذتها من الهندوس !

وهكذا ألقى على عاتق الدولة الناشئة عبء جديد : انشاء مدارس لتعليم نحو تسعين بالمائة من مجموع الباكستانيين . ولا احب ان املأ الصفحات بالاحصاءات ولا ان اقول ان الحكومة قد ضاعفت عدد المدارس هنا وزادت في معدات المعاهد هنالك . ولكن احب ان أقص طرفا من سياسية الباكستان التوجيهية في التعليم .

كان اول ما فعلته الباكستان بعد استقلالها ان دعت الى مؤتمر تهييبي انعقد في كراتشي في شهر تشرين الثاني (بعد قيام الدولة بثلاثة أشهر) . ولقد اتخذ هذا المؤتمر مقررات على غاية من الاهمية ، وبدأت الدولة بتنفيذها حالاً . كانت مناهج التعليم الموروثة عن عهد الاستعمار مثقلة بالتوافه وموضوعة على اساس مادي بعيد عن سمو الحياة الروحية . فقررت الحكومة ان تبدل هذه المناهج لتجعلها مستوحاة من روح الاسلام واكثر موافقة لاحوال

الباكستانيين واتجاههم في الحياة . وحباً بتحقيق هذه الرغبة
تقرر ان تكون اللغة الاردية لغة الدولة ولغة التدريس
الرسمية في غربي الباكستان ما عدا السند (حيث يتكلم
الاهالي اللغة السندية) . اما في البنغال (شرقي الباكستان
حيث يتكلم المسلمون اللغة البنغالية) . فقد جعل تدريس
اللغة الاردية اجبارياً في مرحلة التدريس الثانوي . وحباً
بتفهم الاسلام تفهيماً صحيحاً وتوصلاً لشدة اواصر الاخوة بين
اقطار العالم الاسلامي تقرر المبالغة بالاهتمام بتدريس العربية
في المدارس . اما في البنغال خاصة فان وزارة المعارف تقوم
بتجربة يرجى ان يكتب لها النجاح ، وهي كتابة اللغة
البنغالية بالاحرف العربية (لأنها الآن تكتب بالاحرف
السنسكريتية ، فهي لغة غير مسلمة) . وتريد الدولة أن
تجعل الحظ النسخي رسمياً في التعليم مكان الحظ الفارسي
المعتمد الآن ، لأن الحظ النسخي اجمل واهون في التعليم
ولأنه الحظ الذي تكتب به المصاحف ، انه خط القرآن الكريم .
وتسعى وزارة المعارف الى ان تجعل التعليم اجبارياً ،
ولكن ذلك مستحيل الآن عملياً ، ذلك لأن نحو تسعين
بالمائة من الباكستانيين اميون فلا يمكن اجبارهم مرة
واحدة على طلب العلم . وهبها فعلت ، فمن أين تأتي
بمدرسين لسبعين مليون تلميذ او يزيدون . ولكن الحكومة
لجأت الى تدبير حكيم اذ نصحت لموظفي الدوائر المتعلمين
بان يعلموا الاميين في دوائرهم ما أمكن تعليمهم ، بالاضافة

الى ما تقوم هي به من التعليم المباشر للاميين الكبار في اوقات فراغهم .

واذا كانت الامية فاشية الى هذا الحد بين الرجال فمن المنتظر ان تكون بين النساء اوسع انتشاراً . ويبدو ان مدارس البنات الآن لا تستطيع ان تستوعب اكثر من ثمانائة الف فتاة . وتلك نسبة ضئيلة بلا ريب بالاضافة الى امة تعد ثمانين مليوناً لأن ذلك يعني انه لا يذهب في الباكستان الى المدرسة إلا فتاة واحدة من كل مائة امرأة !
وفي الباكستان اليوم خمس جامعات ، والحكومة دائبة على ان تضيف اليها اربعاً أُخَرَ .



حيدر آباد وكشمير

لم يكن بإمكان انكاثرة ان تحكم بلداً مساحته نحو خمسة ملايين كيلو متر مربع يسكنه اكثر من ثلاثمائة مليون نسمة يدينون بعدد لا يحصى من المذاهب ويتكلمون اكثر من سبعمائة لغة كالهند لو انها لجأت الى اساليب الادارة المألوفة في الحكم .

لقد كان اقامة ادارة موحدة في شبه جزيرة الهند امراً في حيز المستحيل . من اجل ذلك لم يجد الانكليز وسيلة الى حكم الهند اجدى عليهم من تفريقها بمالك وسلطنات وامارات بعد ان يذكوا نار البغضاء بين الهندوس والمسلمين ، وهم الذين يمثلون الطائفتين الدينيتين الكبيرتين في شبه الجزيرة كلها . وبما ساعدهم على ذلك ان كل طائفة من هاتين كانت تنقسم ايضا طوائف متعددة بتعدد انسابها ولغاتها وتراثها الاجتماعي .

وقسم الانكليز الهند من حيث الادارة قسمين كبيرين :
قسماً حكموه حكماً انكليزياً مباشراً وقسماً فرقوه بين الاسر

الاقطاعية ، بعد ان جملوا له في الظاهر استقلالاً ذاتياً يبدو
براقاً للماعاً ضاحجاً بين الحكام والمحكومين . اما في الحقيقة
فانهم اقاموا في تلك المقاطعات حكماً استعماريًا مستتراً
يتقيد به الحكام تجاه الانكليز . ولم يكن الحكم الوطني
الظاهر في تلك المقاطعات إلا ستاراً للابقاء على الجهل والفقير
موزعين في اقطار الهند بما يستحيل معه رقي أو ازدهار او
تطور ما . ولكن كيف ضمن الانكليز ان تبقى العداوة
والجهالة والامراض متربعة في تلك المقاطعات ؟ نظر
الانكليز في تلك المقاطعات ، فما كان منها فيه اكثرية هندوسية
نصبوا عليه حاكماً مسلماً ، وما كانت الاكثرية فيه
مسلمة اخضعوه لحاكم هندوسي . وهكذا ظلت العداوة
بين الاقلية والاكثرية وبين المحكوم والحاكم تعمي ابصار
الجميع عن كل رغبة في رقي وعن كل حاجة الى التطور .
ولما قسمت شبه جزيرة الهند عموماً هندستان وباكستان
ترك الخيار لهذه المقاطعات الوطنية في ان تنضم الى الجانب
الذي تميل اليه أو ان تظل مستقلة كما كانت قبل تقسيم
شبه الجزيرة .

نظام حيدر آباد

حيدر آباد مقاطعة في هضبة الدكن في اواسط النصف الجنوبي من شبه جزيرة الهند . هي اكبر امارات الهند واغناها ، تبلغ مساحتها نحو ٣٥٠,٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو سبعة عشر مليوناً من الانفس منهم نحو مليونين من المسلمين هم اقلية ، ولكنهم اقلية قوية في عالم الثروة والاملاك والصناعات .

وإذا نحن اعتبرنا احوال حيدر آباد من ناحية السياسية والادارة وال عمران لم نجد لها امارة وطنية في الهند كسائر الامارات ، بل وجدنا انها دولة ذات كيان سياسي مستقل ، وذات مرافق خاصة بها للبريد ولسكك الحديد ولطرق الطيران المدني ولنظام التلفون والعملة . ولقد كان بين حيدر آباد وبين الهند والباكستان تمثيل سياسي .

ويحكم حيدر آباد الامير عثمان علي خان بهادور المعروف باسم نظام حيدر آباد ، وهو السابع في سلسلة اسلافه الذين حكموا هذه المقاطعة . وهو يحكم بلاده حكماً مطلقاً إقطاعياً ولكنه أيضاً حكم المستبد العادل الذي يريد الخير لرعيته . ثم ان له مقاماً مرموقاً بين المسلمين في جميع الاقطار . ونظام حيدر آباد اغنى اغنياء العالم يملك ثروة من الجواهر تبلغ نحو ثمانية مليارات من الروبيات او نحو مليار من الجنيهات الانكليزية .

ولما قامت دولتا الهندستان والباكستان اختار نظام
حيدر آباد ان تظل بلاده مستقلة كما كانت منذ مئات
السنين . ولكن الهندستان ساءها ذلك واصرت على ضم
الامارة اليها متوسلة بيجتين : اولاهما ان كثرة المقاطعات
المستقلة ، ضمن حدود دولة ما يعرقل عمل هذه الدولة جغرافياً
وعسكرياً وسياسياً . وثاني الجتين ان المسلمين في اماره
حيدرآباد يبلغون اثني عشر بالمائة من مجموع السكان فقط .
ثم اخذت الهندستان تعلن ان اماره حيدرآباد اماره
اقطاعية ولا يجوز بعد اليوم ان يستمر حكم اقطاعي
في بقعة من بقاع العالم . وكذلك ادعت ان الامن مضطرب
وان الازكار ١ يكثر الاعتداءات على السكان ، وأنه في
الوقت نفسه عنصر مهدد لما حوله .

اكفهر الجو بين الهندستان وحيدرآباد ، فعقدت
الدولتان بينهما في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ اتفقا موقفاً
امده عام واحد ، لعل الطرفين يصلان في مدة نفاذه الى
اتفاق يتعلق بالدفاع وبالسياسة الخارجية على الاقل . ولكن
الهندستان اخذت تمنع وصول الاسلحة الى حيدرآباد
ووصول الآلات الميكانيكية . حتى الادوات الطبية والعقاقير
منعت الهندستان وصولها الى حيدرآباد .

ومنذ نيسان عام ١٩٤٨ بدأت الهندستان تلوح بافتحام

(١) الازكار او الرضاكار على الاصح هم المتطوعون الذين يؤلفون جيش
امارة حيدرآباد (برضاهم) .

الإمارة عنوة وتصرح^١ « ان تمت حلاً واحداً لمشكلة
حيدرآباد، هو الانضمام الى الهند». وفي الحادي عشر من
شهر ايلول عام ١٩٤٨ توفي محمد علي جناح الحاكم العام
لدولة الباكستان فعم الباكستان ذهول شديد وخيف
الاختلاف على خلف له. فانتهزت الهندستان هذه الازمة
الروحية واقتحمت حدود حيدرآباد في الثالث عشر من
ايلول. وكان ذلك قبل انتهاء امد الاتفاق الموقت بشهرين
ونصف شهر. وقاومت حيدرآباد خمسة ايام ثم استسلم
جيشها.

وبعد ان استسلمت حيدرآباد أسلمت للمذابح وللنهب، ثم
حملت حكومة الهندستان خمس قاطرات معبأة بالذهب والفضة
سوى ما حملة الجنود وسوى ما اقتعله اهالي المقاطعة من
الهندوس. ولا ريب في ان الهدف الاول من اقتحام حيدر
آباد كان الاستيلاء على ما فيها من الثروات والذخائر والنفائس،
قبل ان يكون ضم سبعة عشر مليوناً من الناس الى
الهندستان.

*

يجب ان يكون في خسارة حيدرآباد - وفي خسارة
فلسطين من قبل - عظة لكثيرين من المالكين المسلمين.
فلولا الامتناع عن البذل الصحيح في موضع البذل الصحيح
لما كان المسلمون يخسرون اليوم ارضهم وديارهم، ولا كان

(1) Indian Information, Independence Number 1948, P. 13

ينال منهم عدو لهم منلاً . ورحم الله عبد الله بن المقفع اذ يقول : لا تقاس الثروة بالمال المجموع بل بطريقة الانفاق . ورب مال ادخره الانسان في جيوبه وصناديقه فكان عبئاً على عاتقه وسلاسل في عنقه . ولو انه اصاب به موضع الانفاق لكان له سياجاً وقوة . ومع اعترافنا بما انفقته نظام حيدرآباد في سبيل العلم والثقافة والجهاد في بلاده وفي سائر بلاد المسلمين ، فان القناطر المقنطرة من الذهب والفضة التي غصت بها أفبنته والاكداس المكدسة من اللؤلؤ والجوهر التي ناءت بها صناديقه لم تغن عنه شيئاً بل كانت لقمة شهية تحلبت لها افواه اعدائه .

آزاد كشمير

كشمير (او كشمير وجمو على الاصح) مقاطعة جبلية في شمالي الباكستان الغربية تتفرع سلاسل الجبال فيها من جبال همالايا . وقد ترتفع قن الجبال فيها الى ٢٥,٠٠٠ قدم (نحو سبع كيلومترات ونصف) فوق سطح البحر . وتنحدر من كشمير المياه التي تغذي أنهار مقاطعتي البنجاب والسند ، كما تكثر فيها نفسها المعادن والاحراج والمراعي واشجار الفاكهة . واشهر صناعاتها السجاد ونسيج فاخر من الحرير يعرف باسم « الشال » . ولكشمير أهمية عسكرية ، فهي تتاخم بضع دول هي (ابتداء من الشرق) : الافغان والاتحاد السوفياتي

والتوركستان الصيفية والتبت والهندستان والباكستان .
وكشمير مقاطعة كبيرة تبلغ مساحتها نحو ٨٤,٥٠٠٠
ميل مربع (نحو ٣٦٠,٥٠٠ كيلومتر مربع) وسكانها
اربعة ملايين او يزيدون ، منهم نحو ثمانين بالمائة مسلمين ،
وكلهم شجعان محاربون .

*

لم تشذ كشمير عن قاعدة الافساد البريطاني في حكم
البلاد المغلوبة ، فان الانكليز كانوا قد نصبوا عليها حاكماً
هندوسياً ، ذلك لأن الاكثرية فيها مسلمة .

وتبدأ قضية كشمير في اليوم الخامس عشر من شهر
آب ١٩٤٧ ، فقد فرح مسلمو كشمير باستقلال الباكستان
واقاموا معالم الافراح في طول البلاد وعرضها يتباشرون
بزوال عهدٍ من الاضطهاد والظلم عاشوا فيه هم وآباؤهم مائة
عام . لقد رَجَوْا ان يكون قيام دولة مسلمة كبرى ،
سينضمون اليها حين يحين موعد الاستفتاء ، ايدانا بانتهاء
عهد كفاح مرير وببزوغ فجر جديد للحرية والطمأنينة والرفق
والعزة . فلم لا يبتهجون ؟

ولكن مهراجا كشمير اکتفى - في الخامس عشر من
آب نفسه - بعقد اتفاق موقت مع الباكستان (على مثال
اتفاق نظام حيدرآباد مع الهندستان فيما بعد) . غير ان
المهراجا ركب سياسة مبهمة وجعل يستقدم من شرقي البنجاب
(التابعة للهندستان) جماعات من الهندوس والسيخ الى

مقاطعة جمو خاصة لتتضخم الاقلية الهندوسية هنالك ، وليهرب بعمله هذا المسلمين . ثم انه اطلق قواته المسلحة على السكان المسلمين وبدأ عهداً مستأنفاً من الارهاب والاضطهاد . أما كيف بدأ الاضطراب الذي زج البلاد فيما بعد في أتون الحرب فيمكن ان يقص على الصورة التالية ، وقد ذكر ذلك المهراجا نفسه في بيان صحفي اذاعه في اليوم الثاني عشر من ايلول عام ١٩٤٧ . قال :

« في اليوم الرابع والعشرين من آب عام ١٩٤٧ تجمعت جماهير غفيرة ثم اتجهت نحو مدينة باغ ، وكان عددها نحو خمسة آلاف . ولم يكن بالامكان اقتناع هذه الجموع بالتفرق بل كان عددهم يزداد باطراد ، وكانوا كلهم مسلحين بأسلحة متنوعة وبالقنوس والرماح وغيرها » .

ورأى المهراجا ان يفرق هذه الجموع بالقوة ، فلجأ الى طريقة هي التي خلقت قضية كشمير . هذه الطريقة قد ذكرتها جريدة التايمز اللندنية في عددها الصادر في العاشر من تشرين الاول عام ١٩٤٨ . قالت جريدة التايمز :

« وفي سائر مقاطعة دوغرا ابيد ٢٣٧,٠٠٠ من المسلمين اباداً منظمة ، إلا من نجا منهم بنفسه هاربا عبر الحدود الى الباكستان . وقد تولى هذه الابداء قوات نظامية تابعة لمقاطعة دوغرا يقودها مهراجا كشمير نفسه ويساعده على الفتك برعاياه المسلمين جماعات من الهندوس والسيخ . ولا ريب في ان إفساء ثلثي المسلمين في مقاطعة جمو (جنوبي

شرقي كشمير) قد بدل نسبة السكان المسلمين والهندوس فيها .
ولم يكن من المعقول ان يرى رجال القبائل في كشمير
اخوانهم الذين يسكنون المدن يُقتلون ويشردون من غير
ان يهبوا الى نجدتهم . فجمعوا صفوفهم واخذوا في اواخر
آب عام ١٩٤٧ يجاربون جنود المهرابا النظاميين حتى
تغلبوا عليهم واجلوهم عن معظم نواحي كشمير واقامواهم
في ارضهم ووطنهم حكومة وطنية سموها آزاد كشمير أو
حكومة « كشمير الحرة » .

وفي الرابع والعشرين من تشرين الاول ، اي بعد
شهرين اثنين ، ادرك مهراجا كشمير انه مخذول في ملكه ،
وان رعيته لا تريده أبداً ، وان جيشه عجز عن الدفاع عنه
فاستنجد بالهندستان . ويبدو بجلاء ان حكومة الهندستان
لم تكن بعيدة عن الاضطراب الذي شمل كشمير ولم
تكن كذلك غافلة عما يمكن ان تدعو اليه الاحوال الحرجة .
وهكذا ما كاد المهراجا يستنجد بالهندستان ويعلن انه يريد
ان يضم كشمير اليها حتى كانت جيوشها قد وصلت الى
حدود تلك المقاطعة . وبعد ثلاثة ايام فقط من طلب
النجدة كانت الجيوش الهندستانية بدباباتها وطياراتها تقتل
المدنيين وتهدم دورهم . وقد بلغ بالجيش الهندستاني حبّ
التدمير الى انه قذف ذات يوم لاجئين من السميخ والهندوس
يغادرون مظفر آباد (في غربي كشمير الحرة) تحت
اشراف لجنة دولية للصليب الاحمر .

ولقد كانت قوات كشمير الحرة تقاتل بالسلاح الخفيف جيشاً مجهزاً بالدبابات والطائرات وباحثت معدات القتال واثقلها ، ومع ذلك انتصرت عليه . ولو لم يدبر المهراجا المذابح في مقاطعة جمو ويعمل على استقدام المهاجرين الهندوس اليها لما استطاع الجيش الهندستاني ان يحتل جزءاً من تلك المقاطعة . عند هذا الحد بدأت كشمير تهدد السلم العالمي او هكذا ادعت هيئة الامم ثم تدخلت لتحل القضية حلاً « عادلاً » . فوقف القتال عند احتفاظ القوات الهندية بجزء من مقاطعة جمو وسيطرة حكومة آزاد كشمير على سائر المقاطعة . وهكذا يُصنع التاريخ : سبع دول يجاربون دولة مزعومة فيولون الادبار ثم لا ينصرون ، و « رجال قبائل » يجاربون بيدادقهم جيشين عظيمين ظاهرين مجهزين احسن تجهيز وجيوشا غير منظورة ثم يغلبونها كلها .

*

لا اريد ان اشغلك ، ايها القاريء ، بتاريخ قضية كشمير بعد ان احيلت الى هيئة الامم وبعد ان أُلِّفت من اجل حلها لجان التحقيق . . . فانت تعرف ذلك واشباهه في سورية والعراق ومصر وفي فلسطين ومراكش . هنالك مذكرات توضع فلا يقرأها الا كاتبها ثم لا يدري الا الله اين يكون مسقرها في ادراج هيئة الامم المتحدة مثلاً . ولكنني اريد ان ارسم امامك خطين واضحين من خطوط قضية كشمير .
١ - لقد قضت الهندستان على استقلال حيدر آباد

مدعية ان تلك الامارة تحكم حكما اقطاعيا وان اميرها ينتمي الى اقلية تحكم اكثرية . وها هي ذه في كشمير تعضد اميراً اقطاعيا ينتمي الى اقلية تحكم اكثرية !

٢ - في حيدر آباد كانت الهندستان تقول : يجب ان نصغي الى الشعب لانه صاحب الحق الاصيل في تقرير مصيره (واكثرية الشعب في حيدر آباد من الهندوس) ، بينما هي ترفض في كشمير ان يُسمع صوت الشعب (المسلم) وتصر على ان يُعمل برأي الحاكم (الهندوسي) .
اما حقيقة المشكلة فهي التي تلي :

في الهند شعبان قويان محاربان : قبائل كشمير والباتان (سكان الحدود الشمالية الغربية) ثم السيخ . فالسيخ يقفون بجانب الهندوس طبعاً ، فاذا ضمت الهندستان كشمير اليها جردت الباكستان من قسم عظيم من مقدراتها الحربية وضمنت التغلب عليها في كل وقت تنشب فيه حرب بين الدولتين . ثم ان الهندستان اذا كان لها نفوذ في كشمير على الاقل فانها تستطيع حينئذ ان تهدد الباكستان تهديداً دائماً فعلا : إذ تكون لها الجبال ومشارف الجبال ، ويكون الباكستانيون في سهول البنجاب والسند .

ان متصفح التاريخ بانعام نظر يرى انه قد سيطر على سلوك اليهود في فلسطين وسلوك الهندستان في الهند اتجاه واحد وغاية واحدة .

خرافة البختونستان

وهناك مؤامرة تنفرع من قضية كشمير تذكر احيانا باسم بختونستان .

تقع جنوب كشمير وعلى حدود الافغان مباشرة مقاطعة تعرف باسم مناطق الحدود الشمالية الغربية ، حيث تسكن قبائل تعد ستة ملايين من الانفس كلهم شجعان برعاء في الحرب اقوياء الايمان . ولغة هذه القبائل هي البشتو التي يتكلمها سكان الافغان ما عدا العاصمة كابل اذ يتكلم اهلها الفارسية . من هنا جاءت كلمة بختونستان لتدل على خلق دولة (مستقلة عن الباكستان) تضم هذه القبائل . وقد تروّج الدعاية لهذه الفكرة باسم باتانستان (نسبة الى اسم تلك القبائل) . اما المتحمس الاول لهذه الفكرة فهو الهندستان ١ ، التي استطاعت أن توجد بين الباكستان وبين الافغان شيئاً من النفور يظهر غالباً في اذاعات الراديو و احيانا في الصحف .

واعلم ان المساعي مبذولة لأصلاح ذات البين وان أنامل رفيقة تحاول مسح الجفاء بين شعبين مسلمين ودولتين جارتين ينفعهما ان تتحابا ويضرهما ان تتقاطعا ، ولا سيما اذا كان في نزاعها منفعة عدو لهما كليهما . ولا أريد أنا ان أتبسط في تحليل هذا النزاع لئلا يخرج الكلام عما قصد به .

(١) راجع صوت الهند (مجلة نصف شهرية يصدرها مكتب استعلامات الهند في القاهرة) السنة الثالثة ، العدد ٣٩ (١٥ يناير ١٩٥١) ثم العدد ٤٢ (اول مارس ١٩٥١) .

الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي

لما بدأ العالم الشرقي يستفيق من سباته الماضي كان الكلام على « القومية » يملأ الجو حوله ، فاندفع هو ايضاً نحو القومية مغتوراً بمظهرين من مظاهر التاريخ في القرن التاسع عشر . اما المظهر الاول فكان نشوء الدويلات في البلقان ، وأما المظهر الثاني فكان توحيد ايطالية وألمانية . على ان دعاة القومية في الشرق قد أخطأوا حقيقة هذين المظهرين معاً . أما قيام الدويلات في البلقان كاليونان وبلغارية والصرب والجبل الاسود وكانفصال البوشناق والهرسك فلم يكن فيه من عناصر القومية سوى الاسم الظاهر . ان البلقان هو البقعة الوحيدة في العالم حيث يستحيل على المؤرخ وعلى السياسي ايضاً ان يرسم « حدوداً قومية » . حتى الدويلات التي قامت في البلقان فعلاً لم تضم جميع الذين يعتقدون انهم ينتمون الى قوميتها ، ولا هي خلصت من عناصر قومية اخرى كانت تعيش فيها من قبل . فليس جميع البلغاريين في بلغارية ، وليس جميع الذين في

بلغارية بلغاريين . اما الهدف الحقيقي من السماح بقيام
الدويلات البلقانية في القرن التاسع عشر فكان رغبة الدول
الكبرى في تجزئة الامبراطورية العثمانية ، لذلك لجأت تلك
الدول الى بعث حركات تصطبغ بصبغة القومية . فلما
تجزأت الامبراطورية العثمانية وقضت الدول الكبرى وطرها
عادت البوشناق والمهرسك والصرب والجبل الاسود دولة واحدة
هي يوغوسلافية . اما بعد الحرب العالمية الثانية فاننا كلنا
نعلم الفلك الذي كانت يوغوسلافية نفسها وتشيكوسلوفاكية
وبلغارية الصقلية ايضاً تدور فيه .

وكذلك قيام ايطالية وألمانية فانه لم يكن توزعاً
اقليمياً ، بل كان بخلاف ذلك تجمعاً قومياً عاماً . فايطالية
جمعت ابن حوض البو الجرمانى مع ابن صقلية وسردانية
واواسط الايطالية . وما زالت سواحل الادرياتيك الشرقية
الشمالية موضع نزاع بين يوغوسلافية الصقلية وبين ايطالية
اللاتينية .

*

ولكن زعماءنا السياسيين - تولاهم الله بمغفرته حيث هم
الآن من عالمهم الآخر - أخطأوا الصورة الواضحة ، فبدلاً
من ان يروا لومباردية وساردانية وتسكانية ونابولي وصقلية
تتجمع دولة واحدة هي ايطالية تخيلوا الوطن العربي مقسماً :
فهنا مصر وهناك سورية وهناك العراق ؛ ثم كان هنالك
دولة جبل الدروز ودولة العلويين ودولة حلب وسنجق

الاسكندرونة ، وما ادراك ما سنجق اسكندرونة !

*

ومر زمن لم يكن من اليسير على احد ان يقاوم هذه الحركة من التجزىء الاقليمي الذي كان يدعى القومية ، ذلك لان كثيرين من الدعاة القوميين كانوا يذهبون في « تطييب الشرق » مذاهب مختلفة . وبعضهم كان يقيس « رقعة الوطن » على مقدار حاجاته الشخصية او على النموذج الذي كان يدفعه اليه اولئك الذين ضمنوا له استيفاء هذه الحاجات . حتى الذين ماتوا معاً في سبيل الحركات القومية لم يكونوا كلهم مجمعين على رأي واحد في تحديد معنى القومية ولا في تعيين سبيلها او تبين غاياتها .

ولقد كان هنالك مجرى آخر للاصلاح - ولكن في غير البلاد العربية - يرى الجارون فيه ان العامل الحقيقي في خلق عظمة الدول الاسلامية هو الاسلام . ومع ان هؤلاء لم يقصدوا ان يجمعوا الهند ويران والعراق ومصر وتركية تحت ادارة واحدة ولا تحت حكم واحد ، إلا انهم ارادوا ان تنهض هذه البلاد المستقلة سياسياً منهاجاً موحداً كما تفعل الولايات المتحدة وانكلترة وفرنسة اليوم ، على بعد ما بينها في كل شيء . ولا نكر ابدأ في ان الدول الكبرى كانت تغذي المجرى القومي بروافد من الدعاية البارعة وبضمان مصالح شخصية كثيرة . اما المجرى الاسلامي فكانت تسهر عليه جماعات بعيدة عن ارائك السلطان .

وتتالت منذ مطلع القرن العشرين حوادث 'كانت تسلب
دعاة القوميات الاقليمية حججهم او تجرد تلك الحجج من
مقوماتها المادية . فأي قيمة قومية لبقاء مراکش منفصلة
عن تونس والجزائر ؟ وما المعنى القومي في قيام مملكة
ليبية ؟ واي مغزى قومي في فصل السودان عن مصر ؟
ثم جاءت الطامة الكبرى فاجتاحت « الحجج القومية » مرة
واحدة : ان سبع دول وسبع قوميات وسبع وزارات
وسبعة جيوش وسبعون مليوناً لم يستطيعوا ان يقفوا سبعة
اسبوع في قتال جماعات كانت مخذولة منبوذة ومفرقة
مشردة ، ذلك لأننا قاتلناهم بسلاح القومية المفرقة وقاتلونا
بسلاح البؤا به علينا العالم السياسي من اقصاه الى اقصاه .
ولكن ذلك حديث آخر .

*

وكثرت الجمعيات والمؤتمرات للخروج بالشرق من هذا
الركود الروحي والتقهقر السياسي ، فلم يُغن ذلك فتيلاً .
فقد كانت الاجتماعات تعقد والمقررات تؤخذ ثم لا ينفذ شيء .
واخيراً تبين ان هذه المؤتمرات والجمعيات كانت خاضعة من
قرب او من بُعد لنفوذ الحاكمين ، وكان هؤلاء الحاكمون
انفسهم مقبدين بلياقيات داخلية وخارجية وبملابسات شخصية
وطنية لا يمكنهم تجاهلها . وهنا بدت بارقة اتجاه جديد :
لماذا لا تكون حركة الاصلاح هذه شعبية محضاً ؟ وهكذا
نشأت الفكرة التي حققت مؤتمر العالم الاسلامي الدائم .

على ان هذه الفكرة لم تخطر لرجل واحد فقط ، بل مرت في خيال كثيرين كلهم كانوا من مسلمي الهند . ولعل منفذها لم يكن الرجل الذي فكر فيها لأول مرة ووضع منهاجا الاول .

*

وكانت غاية هذا المؤتمر ان ينظر المسلمون « في احوالهم وفي ما يحيط بهم ثم يتعاونوا على خطة اسلامية تهديهم الى سواء السبيل وتنجيهم من الاضطراب الذي يعم العالم ومن الشر الذي يهدد ذلك العالم » .

ولقد عقدت الدورة الاولى لمؤتمر العالم الاسلامي في كراتشي عاصمة باكستان في ١٨ و ١٩ و ٢٠ شباط عام ١٩٤٩ فحضرها مندوبون من ثمانية عشر بلداً اسلامياً يمثلون شعوبهم لا حكوماتهم . في هذه الدورة وضع دستور للمؤتمر يدور على التعاون الثقافي بين الشعوب الاسلامية من غير ان يتعرض للشؤون السياسية الداخلية الخاصة بكل دولة . اما أبرز غايات هذا المؤتمر المثبتة في دستوره فهي : « محور جميع الفوارق المذهبية والقبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم الاسلامي وإحكام الرابطة الاسلامية بين الجميع بانخاد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين للهداية والتوجيه والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء الشعوب الاسلامية وادخال عناصر التعليم الاسلامي في جميع مناهج الدراسة » . ولكن المواد

التالية تليفت النظر بصورة خاصة :

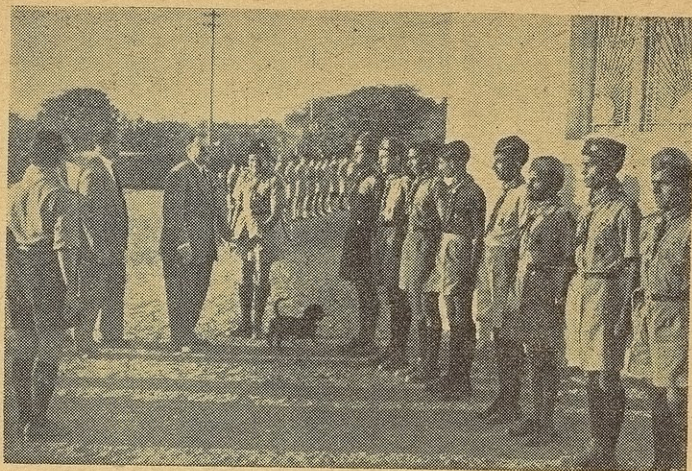
(١٥) اتخاذ خط النسخ (خط الطبع العربي) والعمل على نشره اساساً لتوحيد الكتابة بين مسلمي العالم بلغاتهم المختلفة (لان الشعوب الاسلامية غير العربية تكتب لغاتها عادة بالحظ الفارسي) .

(١١) العمل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الاسلامية عامة في جميع انحاء العالم .

(١٦) العمل على تأسيس شركات ووكالات لنشر الانباء الصحيحة عن (الدول) الاسلامية وعن شعوبها

*

بعدئذ طاف امناء سر المؤتمر في العالم الاسلامي لتوسيع الدعوة الى المؤتمر ولانشاء لجان محلية في كل بلد اسلامي . وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً . وكان قد تقرر ان تعقد الدورة الثانية في مدينة كراتشي ايضاً - لتعذر انعقادها في قطر ما من الاقطار العربية على الرغم من محاولة ذلك - في ايام الجمعة والسبت والاحد في ٣ - ٤ - ٥ من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٧٠ (٩ - ١٠ - ١١ شباط عام ١٩٥١ م) . وكذلك تقرر ان ينظم اجتماعان فرعيان تابعان للمؤتمر العام احدهما للنساء والآخر للشباب ، وان يقام معرض للجهود الثقافية والفنية والمادية في العالم الاسلامي . وقد عقدت جميع المؤتمرات في اوقاتها المعينة ، واقام المعرض ولكن على نطاق ضيق .



رئيسا كشاف بنورانه المقر العام الكشفي في كراتشي

هارون نهابو

مصطفى فتح الله

جزائر موريس

لبنان

كان النظام في الاجتماعات العامة تحت اشراف كشافه الباكستان .
وللحركة الكشفية في هذه الدولة الفتية المقام الاول بين جمعيات
الشباب بالنظر لمبادئها السامية ولصلاح تعاليمها القويمة في إعداد الناشئة
عمليا لخدمة وطنهم وامتهم .

وان عدد الفتيان والشباب ، سوى المرشدين ، من الذين ينضون
تحت لواء الكشفية في باكستان ينيف على مائة الف ما بين كشاف
بحري وكشاف الجو وجرموز وكشاف وجوال .
وقد أقر المؤتمر اقتراحا قدام في اجتماع الشباب لمقد اجتماع عام
للكشافة المسلمين من جميع أقطار العالم .

كانت الدورة الثانية للمؤتمر أوسع نجاحاً ونشاطاً ، فقد حضرها مندوبون من اربعة وثلاثين قطراً اسلامياً بلغ عددهم نحو مائتين وخمسين شخصاً كلهم ، الا نفرأ معدودين ، من غير ذوي المناصب الحكومية .

وكان للمؤتمر اربعة انواع من الاجتماعات :

أ - الاجتماعات العامة الشعبية

ب - الاجتماعات العامة للمؤتمرين

ج - اجتماعات اللجان الفرعية

د - الحفلات الاجتماعية .

اما الاجتماعات العامة فكانت تعقد في سرادق منصوب يتسع لنحو عشرة آلاف او يزيدون . في هذه الاجتماعات ، التي كانت تعقد مساءً وتستمر ايضا الى ما بعد منتصف الليل ، كان الخطباء يتعاقبون على المنبر فيتناولون الموضوعات الاجتماعية والوطنية والثقافية من تلك التي تدور حول الروابط الوثيقة بين اقطار العالم الاسلامي وتتصل بانعقاد المؤتمر . وقد بدت قضيتا كشمير وفلسطين في ابرز المقطوعات الخطابية .

وعلى الرغم من ان الحضور للشعب كان مقابل بدل قدره عشر روبيات او خمس روبيات او ثلاث روبيات ، فان الاماكن كانت في جميع الليالي تمتلئ بالمشاهدين ، عشر ليال متوالية . ولقد كنت اسائل نفسي هذا السؤال : لو

(١) تساوي الروبية الباكستانية نحو سبعين قرشاً لبنانياً .

ان اجتماعا بمائلا عقد في بيروت ، وكان بدل المقعد الواحد عشر ليرات وخمس ليرات وثلاث ليرات ، فكم مقعداً كان يتلىء في كل ليلة من ليالي المؤتمر ؟
اما الاجتماعات المتعلقة بالمؤتمرين ، سواء أكانت عامة لجميع المندوبين ام خاصة باللجان الفرعية ، فهي المقصودة بالبحث هنا .

الف المؤتمر اولاً لجنة سماها لجنة المقترحات مهمتها تأليف لجان فرعية من الاعضاء المؤتمرين . ولقد تألف يومذاك من اللجان :

- (١) لجنة الدستور (للنظر في تعديل الدستور اذا كان ثمت ضرورة لذلك) .
- (٢) لجنة الدعوة (مهمتها جمع جهود المتطوعين للدعوة الى الاسلام في العالم) .
- (٣) لجنة التربية والتعليم .
- (٤) اللجنة الاقتصادية .
- (٥) اللجنة السياسية .

*

ان ابرز البحوث في الدورة الثانية للمؤتمر والمقررات التي تلتها ملخصة فيما يلي .

١ - يجب ان يوجه التعليم في الاقطار الاسلامية توجيهها اسلاميا ، حتى يحال بين ناشئتنا وبين طغيان الجانب المادي من الحياة ، ذلك الجانب الذي تقتضيه طبيعة العلوم التي

اصبحت دراستها جزءاً لا غنى عنه في هذا العالم المملوء
بالنزاع والكفاح . اما في البلاد الاسلامية المستقلة فيجب
ان يكون التعليم الديني إلزامياً كافياً ، مع تسهيل الطرق
للباحثين على التعمق في مظاهر الثقافة الاسلامية في كل بلد ،
ثم انشاء مجمع علمي اسلامي دولي يضم اعلام العالم الاسلامي
في جميع مجالي الثقافة . ويوصي المؤتمر هذه الدول ان تفتح
دور العلم فيها امام ابناء الاقطار الاسلامية التي لا تزال
ترزح تحت استعمار اجنبي ، لتساعدهم على الاحتفاظ بصلاتهم
الثقافية والاجتماعية وثيقة باخوانهم في الاقطار الاخرى .
٢ - جعل التشريع في اساسه قائماً على المبادئ
الاسلامية .

٣ - تنظيم الزكاة وتخفيف تكاليف الحياة عن عاتق
العمال والزراع بتوفير المطعم والملبس والمسكن والتعليم
والعلاج لهم ، ثم تأسيس شركات للاستثمار وللانشاء العمراني .
ويجب ايضا تنظيم العلاقات الاقتصادية في التجارة الخارجية
بالاضافة الى الدول الصديقة والعدوة . ثم إن كثرة اللاجئين
من اقطار مختلفة في العالم الاسلامي تقتضي ايجاد لجنة مركزية
تعنى بشؤونهم .

٤ - مقررات اللجنة السياسية :

(أ) السعي لازالة الخلافات بين الدول الاسلامية اذا
وجدت . وقد وفقت اللجنة في مسعاها الى تقريب وجهات
النظر في قضية من هذا النوع كانت شائكة جداً .

(ب) اعتبار الاعتداء الاجنبي على قطر اسلامي او دولة اسلامية عدواناً على جميع الشعوب الاسلامية ، ثم السعي لرد هذا العدوان في نطاق الاخوة الاسلامية وميثاق الامم المتحدة .

ومن المقررات السياسية « تأييد الحركات الاستقلالية التحريرية في اي بلد اسلامي ضد الاستعمار مهما كان نوعه » .
(ج) الاهتمام بالعناية بالاقليات الاسلامية في كل مكان والعمل على بذل النفوذ لرد الاضطهاد عنها او للعمل على رقيها .

(د) مشكلة اللغة العربية :

العالم الاسلامي ، الذي لا يتكلم اللغة العربية ، مقسوم من الناحية اللغوية قسمين : قسماً يتكلم لغة اسلامية كالتركية والفارسية والاردية والبشتو ، وقسماً يتكلم لغة غير اسلامية كالبنغالية والسيامية والصينية . ومعظم هؤلاء في الواقع يتكلمون لهجات متعددة او لغات متعددة احياناً . لناخذ الباكستان مثلاً فان فيها البنغالية ثم البلوخستانية ثم البنجابية والسندية ، وهما متقاربتان ، ثم البشتو ثم الاردية ثم الكوجيراتي وهي لغة هندوكية ، لغة قوم غاندي . فكيف يمكن لدولة ان تنهض بسهولة ثم تضمّن مستقبلها اذا لم يكن لأهلها لغة يتفاهمون جميعاً بها . وهنا بدت فكرة اتخاذ لغة واحدة في الباكستان . ولكن تبين ان كل لغة تفرض على الباكستان تكون في مصلحة

الاقلية التي تتكلم تلك اللغة . اما الاكثرية فيجب ان تتعلم تلك اللغة بشيء من الصعوبة كثير او قليل . ثم ان كل لغة من هذه اللغات ستكون قاصرة على الباكستان وحدها .

وهنا برزت فكرة جعل اللغة العربية (لغة القرآن) هي اللغة العامة في العالم الاسلامي . وبما ان القضية قد عرضت عرضاً موجزاً فقد فهم كل قوم منها احد شيئين : اما جعل اللغة العربية لغة ثانية في كل قطر بجانب لغته الاصلية ، او إحلال اللغة العربية المقام الاول في كل قطر اسلامي بصرف النظر عما عدا ذلك .

ولقد اثارت هذه القضية في المؤتمر بجوثا مستفيضة ومناقشات متشعبة . فالمسلم في البنغال مثلاً يتكلم لغة لا تمت الى دينه ولا إلى وطنه ولا إلى ثقافته بشيء . فهو من اجل ذلك مستعد لأن يتبدل بلغته هذه لغة ثانية . وفي هذه الحال يفضل ان تكون اللغة الجديدة لغة القرآن ، وهو ليس متحمساً للغة سواها . اما المسلم في السند مثلاً فموقفه على وجه العموم يختلف قليلاً . انه يتكلم لغة اسلامية مسلمة لها قيمتها ولها ادبها ولها عبقريتها فهو لا يرضى ان ينسى هذه اللغة مرة واحدة . إلا ان هنالك جانباً كبيراً من السكان يرضون ان يفعلوا ذلك . ولا ريب في ان التركي والايرواني اشد تمسكاً بلغتها القومية من المتكلم بالاردية .

واخيراً رأت اللجنة السياسية ان تتخذ القرار التالي :
« ان اللغة العربية (لغة القرآن) هي الوسطة الوحيدة
الممكنة للتفاهم بين جميع البلاد الاسلامية ولفهم الدين
الاسلامي فهماً صحيحاً في منابعه الاصلية . (لذلك) يجب
السعي لتعميم تعليمها واتخاذها لغة رسمية في البلاد
الاسلامية كافة » .

على ان اللجنة السياسية لم تحل هذه المشكلة باتخاذها
هذا القرار ، لأن هذه المشكلة اعمق جذوراً مما نتخيل .
من اجل ذلك احببت ان اثبت فيما يلي الجانب الاوفر من
الخطاب القيم الذي اعده صاحب السمو الملكي آغا خان
لحفلة افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي : في هذا
الخطاب تحليل بارع للمشكلة وإلمام جامع بنواحي الموضوع
وصراحة في إبداء الرأي وإصابة للحقيقة والواقع في معالجة
مشكلة من كبرى المشاكل التي تواجه دولة باكستان
الفتية . قال آغا خان :

« ان لغة أمة من الامم ليست وسيلة للتعبير عن
صوتها فحسب ، بل هي طريقة للتفاهم بين جميع الهيئات
الانسانية الاخرى . وها انا ذا ، الرجل العجوز ،
أنضرع الى اخواني في الاسلام هنا ، قبل ان يسبق السيف
العدل ، ألا يقرروا الأردنية نهائياً كلغة باكستان الوطنية ،
بل ان يختاروا اللغة العربية . وأرجو ان يصغوا الى
حججتي في ذلك .

« ان اولى حججى ضد اتخاذ الاردية لغة وطنية هو :
لو ان القسم الثاني الذي كان يؤلف مع الباكستان
امبرطورية الهند البريطانية قد اتخذ الاردية لغته الوطنية ،
لكان في ذلك للباكستان عذرها في ان تحذو حذوه ، اذ
تكون الاردية حينئذ رابطة لغوية ونقطة اتصال عظيمة
مع هذه الجمهورية الواسعة في الجنوب ١ .

« يشهد الله أنني آخر من يريد ان يهدم اي جسر
للاتصال والتفاهم بين الباكستان وبين جارتها الكبيرة .
غير ان الواقع هناك ، ايها الاصدقاء ، هو ان اللغة
الهندوكية قد حلت محل اللغة الاردية ومحل اللغة
الهندستانية ٢ ايضاً ، كلغة وطنية .

« ولقد كان سكان الهند على حق في اختيار أية لغة
شاءوا لجعلها اللغة القومية ما دامت الاكثوية تعتقد ان
تلك اللغة موافقة لها وذات صلة بتاريخها القديم . اما
اختياركم انتم في الباكستان اللغة الاردية فليس من شأنه
ان يحسن ولا ان يوثق صلاتكم مع جارتكم الجنوبية ، كما
انه سوف لا يساعد الاقليات المسلمة هناك مساعدة كبرى .
ومهما اضفنا من كلمات عربية او فارسية جديدة الى اللغة
الاردية فليس باستطاعتنا ان ننكر ان النجو والتركيب
وأسس هذه اللغة هندوكية لا عربية .

(١) يقصد الهندستان .

(٢) الهندستانية لهجة المخاطبة المتفرعة من الاردية .

« هل كانت الاردية لغة مسلمي الهند في ايتان مجدهم ؟
كلا ، فهي لم تعتبر لغة الحكام اثناء حكم الباتان الطويل .
وفي زمن الدولة المغولية المجيد لم تعتبر لغة المثقفين . فهل
بامكان احد من الناس ان يبرز رسالة كتبها احد الاباطرة
المغول مثل اورنجزيب او شاه جهان او جهانجور او اكبر او
همايون او بابار باللغة الاردية ؟
« انني اتحدى ! ان لغة البلاط كانت الفارسية و احياناً
التركية .

« لقد قرأت الكثير مما كتبه اورنجزيب وكل ذلك
باللغة الفارسية الجميلة . ومثل هذا يصدق ايضاً اذا زرنا
تاج محل وقرأنا ما نقش على مدفن الامبراطور ومدفن
حليلته المشهورة .

« وكذلك كانت الفارسية لغة البلاط ولغة الطبقات
المتنفة الى اوائل القرن التاسع عشر . حتى في البنغال
البعيد فان المثقفين من الهندوكيين اتخذوا الفارسية لغة
الأدب والمحاطبة لا الاردية . وحتى ايام ماكولي ا ظلت
الفارسية لغة الطبقات الارستقراطية في البنغال بصرف
النظر عن اختلاف مذاهب البنغاليين ، كما كانت ايضاً لغة
الوثائق الرسمية ومجالس القضاء .

« لنقف من الحقائق التاريخية وجهاً لوجه . ان الاردية

(١) Macaulay (١٨٠٠ — ١٨٥٩) مؤرخ ومشرع انكليزي

زار البنغال .

أصبحت لغة الهند الإسلامية بعد ذهاب دولتها ، وهي لغة مرتبطة بعهد الانحلال . ان شعراءها العظام هم شعراء هذا العهد ، ثم ان ساقه هؤلاء العظام ١ كان محمد اقبال الذي أوحى اليه حب احياء المجد الادبي ان يهجر الاردية كلغة للشعر الى الفارسية .

« حضرت استقبالا اقيم على شرف اقبال نظمه رجال مثل البروفسور نيكلسون ٢ . وقد قال اقبال نفسه في هذا الاستقبال انه اتخذ الفارسية لغة شعره لان الشعر الفارسي مرتبط بعظمة الحكم الاسلامي لا بحقبة انحلاله .

« وبعد ، أفمن الصواب ان تصبح لغة عهد الانحطاط لغة وطنية لما نتمنى ان يكون اعظم ما نصبو اليه من اليقظة القومية ؟ ان كبار أساتذة الاردية عاشوا في حقبة الهمود والفشل . وفي ذلك الزمن كانوا على حق في استعمال لغة أصلها هندوكي اضافوا اليها عدداً من الكلمات العربية والفارسية ليجدوا سبيلاً للتفاهم بينهم وبين السواد الاعظم من مواطنيهم يومذاك . اما اليوم ، وقد انقسمت الامبرطورية الهندية قسمين قام فيها أمتان عظيمتان ، فان العالم بأجمعه يأمل من كلا الطرفين ان يظمن نهائياً الى هذا الوضع . أنا أسألكم : هل الاردية هي اللغة الوطنية الطبيعية لسكان الباكستان الحاليين ؟ هل هي لغة البنغال

(١) آخرهم .

(٢) مستشرق انكليزي مشهور ، توفي حديثاً .

حيث تعيش اكثرية الباكستانيين المسلمين . . ؟ هل هي اللغة التي تسمعونها في شوارع دكا وشيتاغونغ .. ؟ أهى لغة الحدود الشمالية الغربية ام هل هي لغة اهالي السند ام لغة اهالي البنجاب ١ ؟

« لا ريب في ان المسلمين والهندوكيين قد رأوا من الصواب ، بعد سقوط الامبرطورية المغولية ، ان يتخذوا في بعض المقاطعات لغة تجمع ألسنتهم . واكننا نحن اليوم في حاجة الى اشكال اخرى من الوسائل للوصول الى تفاهم متبادل .

« من ذا الذي خلق الوردية ... ؟ واين كانت منابعها ... ؟ وعن اي طريق اتت ... ؟

« اما الذين خلقوها فهم حواشي المعسكرات ؛ واما منابعها فكانت في صفوف المرتزقة الذين تجمهروا حول البلاط الامبراطوري . أولئك هم الذين تبناوا تلك اللغة ثم جعلوا - وهم يتسكعون في طريقهم المملة - يحشرون الكلمات العربية والفارسية كلما احتاجوا اليها في نظام النحو من لغتهم الهندوكية ، كما فعل احفادهم في الايام الاخيرة حينما جعلوا يضيفون الكلمات الانكليزية من امثال « جلاس » و « كب » ٢ ؛ تلك الكلمات الاجنبية التي اصبحت جزءاً من

(١) البنغال ، الحدود الشمالية الغربية ، السند ، البنجاب مقاطعات في دولة الباكستان .

(٢) Glass قده ، Cup فنجان ، كأس ايضاً .

اللهجة الاردية الحديثة التي تدعى بالهندستانية .
» أتريدون انتم الآن ان تجعلوا من لغة المعسكرات أم

من لغة البلاط لغة وطنية لهذه الدولة الجديدة .. ؟

» كل طفل مسلم ، أهله على شيء من اليسار ، يتعلم
القرآن الكريم باللغة العربية سواء أكان من داكا

ام من كويته ^١ . ثم هو يتعلم الابجدية العربية ليتعلم
القرآن . ان اللغة العربية هي لغة الاسلام . لقد نزل

القرآن عربياً ، وجاءت احاديث النبي عربية .
وكذلك كانت ذروة الثقافة الاسلامية في الاندلس عربية .

فعلى اولادكم كلهم ان يتعلموا شيئاً من العربية في كل
حين . ثم ان هذا ينطبق على الباكستان الغربية في السند

وفي بلوخستان وفي الشمال أيضاً .

» واذا نحن تأملنا الأمر من ناحيته العملية والعالمية

وجدنا ان اتخاذنا اللغة العربية لغة قومية لا تتيح لنا فقط
اتصلاً وشيكاً باربعةين مليوناً من العرب الذين يسكنون

الى غربنا في دول مستقلة . بل هو يوثق صلاتنا بستين
مليوناً آخرين يتكلمون العربية الى حد ما ويعيشون في

بلاد غير مستقلة في افريقية على الاخص . وكذلك نحن
واجدون حتى سواحل افريقية على المحيط الاطلسي طبقات

الشعب العليا تعرف العربية .

(١) Dacca عاصمة مقاطعة البنغال في الشرق و Quetta عاصمة مقاطعة

البنجاب في الغرب

« هذه المعرفة غير مقتصرة على الشمال ، بل هي تمتد جنوباً الى نيجيريا وشاطئ الذهب . وكذلك في جميع الاصقاع السودانية ، سواء منها تلك التي على ضفاف النيل او التي تقع تحت الحكم الفرنسي ، نجد اللغة العربية لغة البلاد المنتشرة حتى تخوم الجزء البرتغالي من غربي افريقية . ثم نحن نجد اللغة العربية معروفة أيضاً في شرقي افريقية لافي زنجبار وحدها بل بين المسلمين من سكان البلاد المتراامية ما بين مدغشقر وبين شرقي افريقية البرتغالية .

« اما اذا نحن توجهنا الى الشرق لتتعرف الى مقام اللغة العربية فيه فاننا نجد ان الاسلام قد انتشر وازدهر بين ثمانين مليوناً من اهل اندونيسيا والملايو - ثمانين مليوناً من المسلمين منتشرين حتى جزائر الفلبين . وفي سيلان نفسها يحرص ارباب الاسر الغنية على تعليم أبنائهم شيئاً من العربية . اوليس اذن من الفائدة لدولة الباكستان القوية ذات المركز الجغرافي الوسط الذي تصل به بين مائة مليون من المسلمين الى شرقها وبين مائة مليون آخرين الى غربها - اي من الفلبين والدولة العظيمة اندونيسيا فالملايو فبورما ثم غرباً الى افريقية حيث يعيش مائة مليون سوى من عددنا منتشرين الى ضفاف الاطلسي - اوليس من الصواب للباكستان ان تجعل اللغة العربية لغة قومية لها بدلا من ان تعزل نفسها عن جيرانها العديدين وعن سائر العالم الاسلامي باتخاذها لغة أبرز خصائصها انها تتصل بعهد

انحطاط الدولة الاسلامية؟ واخيراً ، ان العربية لغة عالمية
للمسلمين تستطيع ان توحدهم بينما الاردية تفصل بينهم
وتعزل بعضهم عن بعض » انتهى .

*

وكيف دار الامر فان لنشر اللغة العربية في الباكستان
طريقة عملية وحيدة هي ان يكثر المتعلمون لها . ثم ان
هذا لا يمكن ان يتم في وقت قصير . ولقد درس هذا
الامر من هذه الناحية الموضوعية درساً وافياً ، ولكن
ليس هنا موضع تفصيله .

*

وكانت الحفلات الاجتماعية التي اقيمت للوفد - كالمآدب
وحفلات الشاي - كثيرة جداً حتى كادت كثرتها تعرقل
اجتماعات اللجان الفرعية او عرقلتها فعلاً . وفي احدي
الحفلات نهض التاجر الوجيه الحاج ابراهيم زينل وقال :
لقد كنت وزعت رقاع دعوة لعدد . وارى ان المآدب
والحفلات قد كثرت حتى كادت تصرفنا عن عملنا الرئيسي
الذي جئنا من اجله . من اجل ذلك رأيت ان ألغي هذه
الحفلة واقدم بدلها ثلاثة آلاف وخمسمائة روبية للاجئي
فلسطين . فكان عمله هذا غاية في الحكمة والنبيل . وحذا
حذوه نفر آخرون . ثم اعلن سماحة الحاج امين الحسيني
انه يتبرع بمائة جنيه للاجئي كشمير . وانهاالت التبرعات
لفلسطين وكشمير واكثرها من أناس احبوا ان تكتم



الاستاذ حلیم رئیس الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي يصغى الى
الاستاذ مصطفى فتح الله (الى اليمين) في حديث عن اجتماع الشباب

اسماؤهم ، حتى انقلبت مآذبة الغداء مباراة جميلة في
الاحسان ، اعني الاجادة والانتقان في السعي لهدف سام
ورعاية عملية .

وعلى الاثر ارنجل سماحة المفتي كلمة قال فيها : لو ان
القادرين منا على البذل بذلوا في مواضع البذل الحقيقية لما
ضاعت فلسطين !

*

وهنا قد يحظر ببالك ان تسأل عن اللغة التي كانت
يتفاهم بها اعضاء المؤتمر في الاجتماعات المختلفة . كان للمؤتمر
لغتان رسميتان : العربية والانكليزية . ولكن كان ثمة
اعضاء لا يجيدون لغة من هاتين اللغتين أو لا يعرفونها
البتة . ولم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء من ابداء
رأيهم أو من سماع رأي الآخرين . من اجل ذلك طُلب
الى من يود الكلام بمن لا يعرف اللغة العربية أو الانكليزية
ان يتكلم باللغة التي يجيدها . فتكلم نفر بالاردية والبشتو
والتركية وبالاندونيسية والفارسية ، وكان النقلة ينقلون
موجز كلامهم أو تفصيله الى العربية والانكليزية أو الى
الاردية .

الا ان معظم المندوبين كان يصرون على ان يتكلموا
باللغة العربية حباً من عند أنفسهم . واني لا ازال اذكر
شاباً تركستانياً ضئيل الجسم كبير الروح وقف في جلسة
عامة للمندوبين ليتكلم بالعربية فجعل يتلثم . فقال له

سماحة المفتي تكلم بالتركية اذا سُئِلَ . ولكن الشاب
جلس واخذ يكتب شيئاً في ورقة . ثم انه نهض وتلا من
ورقته لغة عربية صافية . الا ان الثقل كان يجبس لسانه
فقط ، مرة بعد مرة .

نفقات المؤتمر

حضر الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي نحو مائتين
وخمسين مندوباً ، كانوا كلهم ضيوفاً على المؤتمر . ولقد
انزلهم المؤتمر في احسن فنادق كراتشي وهياً لهم سيارات
تنقلهم بين فنادقهم وبين امكنة الاجتماع والحفلات ثم
تحملهم ايضاً في غدواتهم ورواحهم الى تصريف بعض
شؤونهم الخاصة . ومع ان هذه الضيافة الكريمة قد دامت
للجميع عشرة ايام ، ثم استمرت لاولئك الذين بقوا في
كراتشي بعد ذلك لانهاء اعمال اللجان الفرعية ، فان
مجموع نفقات المؤتمر بلغت مائة الف روبية فقط .

ورأى رجل واحد من القوم ان يحمل هذا العبء عن
المؤتمر فتبرع بنصف هذا المبلغ وجمع النصف الآخر من
المتبرعين ، ثم ابى ان يعلن اسمه .

طريق مغروسة بالشوك ولكن...

إذا نحن ادر كنا كل ما تقدم ثم قرأنا ما بين السطور
ايضاً بأن لنا ان دولة الباكستان الناشئة تواجه صعاباً
كثراً وعقبات ليس من السهل تذليلها : هنالك مشكلة
اللاجئين وهنالك مشكلة الامية . هنالك معضلة اللغة
وهنالك ايضاً مشاكل الري والانشاء الصناعي ، فان
الانكليز لما اشرفوا على قسمة البلاد بين الهندوس والمسلمين
حرصوا على ألا يجعلوا المناطق المزدهرة من نصيب المسلمين .
ثم ان الانكليز انفسهم كانوا في مدة حكمهم يحرصون البلاد
التي يكثر فيها الهندوس بالعناية .

وهنالك ايضاً مشاكل الدفاع عن البلاد واصعبها ان
الباكستان تتألف من قسمين احدهما يبعد عن الآخر اكثر
من الف ميل ، وكلها محاطة بالهندستان او بالهندستان
وسواها من الدول المحاربة الكبرى . ثم هنالك كثرة
المذاهب . وكان هنالك فوق هذا كله عدد من المسلمين
ينظرون الى الخير المادي القريب فضلوا ان يظلوا في

الهندستان حرصاً على مناصب يَحْتَلُونَهَا وَاَمْوَالٍ يَكْتَسِبُونَهَا
وَجَاهٍ يَعْشُونَ فِيهِ ، او اِنَّه كَانَ لَهُمْ رَأْيٌ فِي الْقَوْمِيَّةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ او يَدْعُونَ اِلَيْهِ . وَلَقَدْ عَرَفْتُ اَنَا ، مِنْذَ عَامِ
١٩٤٨ ، نَفَرًا مِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَعْتَقِدُونَ
اَنْ بَقَاءَهُمْ فِي الْهِنْدِ اسْتَعْمَالٌ عَاقِلٌ وَاِنَّهُ ضَرُورَةٌ .

ثُمَّ هُنَاكَ اَيْضًا اَصَابِعُ تَحْرُكٍ مِنْ وَرَاءِ السُّتَارِ اَخِيَّةٍ
تُظْهِرُ اِمَامَ السُّتَارِ . وَهُنَاكَ ارْتِثَ مَعْقِدُ السِّيَاسَةِ الْمَحَلِّيَّةِ ،
وَهُنَاكَ عُنَاصِرُ النَّاظِمِينَ مِنَ الَّذِينَ اخَذُوا يَرُونَ فِقْرَهُمُ الْمَزْمَنَ
مِنْ خِلَالِ ثِقَافَتِهِمُ الْجَدِيدَةِ . وَكَذَلِكَ هُنَاكَ الدُّوَلُ
الْكَبْرَى الْقَوِيَّةُ الَّتِي تُدِيرُ سِيَاسَةَ الْعَالَمِ وَتَمْلِكُ اِزْمَةَ الْاِقْتِسَادِ
وَالْتِجَارَةِ وَمَقَالِيدَ الْبَتْرُولِ وَالصَّنَاعَةِ وَمَسْتَوْدَعَاتِ الْمَالِ
وَمُعَدَّاتِ الْحَرْبِ ، وَتَهَيِّمُنَ عَلَى وَسَائِلِ الدَّعَايَةِ الْعَالَمِيَّةِ .
وَهُنَاكَ اَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمُضْطَرَّبِ الَّتِي نَعِيشُ
فِيهَا نَحْنُ الْيَوْمَ .

عَلَى اَنْ النَّازِرَ الْمَتَأَمِّلَ يَرَى اَنْ الْفِئَةَ الْحَاكِمَةَ فِي
الْبَاكِسْتَانِ ، بَعْدَ اِعْتِبَارِ جَمِيعِ وَجِهَاتِ النَّظَرِ الْمَحَلِّيَّةِ ، تَجْهَدُ
حَتَّى تُثَبِّتَ اَرْكَانَ الدَّوَلَةِ وَحَتَّى تُنْشِئَ جِيلًا خَلِيقًا بِالْحَيَاةِ
الصَّحِيحَةِ . وَاَنْ الَّذِي يَقْتُوبُ مِنْ جِهَازِ الْحُكْمِ ثُمَّ يُجِدُّ
النَّظَرَ فِيهِ تَنْكَشِفُ لَهُ ضُرُوبٌ مِنَ التَّضْحِيَةِ وَالتَّجْرُدِ تَجْرِي
بِحُرِيِّ الْعَجَائِبِ . وَلَكِنْ تَمَّتْ اَمْوَرًا يُحْسِنُ فِي بَعْضِ
الْاِحْوَالِ طَيِّبًا لِاَنَّ نَشْرَهَا يَسْتَعْمَلُ اِحْيَانًا اسْتِعْلَالًا لَيْسَ عَلَى
النَّهْجِ الْقَوِيمِ . اِنْ هَذَا وَحْدَهُ - اِذَا تَوَكَّنَا كُلَّ شَيْءٍ آخَرَ

جانباً - كاف لان يكفل الحياة لهذه الدولة الناشئة . ان
الدولة نفسها في الباكستان توجه الشعب وتجهد حتى توجهه
نحو خيره وخير امته ووطنه . انها دولة تريد الاصلاح .

*

وعند هذا الحد من الاقتراب الى نهاية الكتاب اود
ان اقول كلمة في الاصلاح كما نفهمه نحن وكما فهموه هم :
ان جرائدنا ودعاة الاصلاح فينا ينتظرون من الشعب
ان يقوم بكل شيء حتى يحمل الحكومة على ان تكون
صالحة . فعلى الشعب مثلاً ان يكون رقيباً يقظاً على
الحكومة حتى تأتي الانتخابات بعيدة عن التزوير . وعلى
المحكومين ان يتقيدوا بالقوانين حتى يجبروا الحاكمين على
احترامها . وعلى الصغار ان يحافظوا على النظام حتى يضطر
الكبار الى المحافظة عليه . ان هذا كله باطل في باب
الاصلاح ، والصواب هو العكس . ان المذكرات الادارية ،
التي تحت صغار الموظفين على المحافظة على الدوام وتهددهم
بالعقاب اذا هم اخلوا بذلك ، لا فائدة منها اذا كان بعض
كبار الموظفين او بعض المحتمين بهم في جهاز الدولة لا
يحضرون الى دوائر الحكومة الا قليلاً او لا يحضرون البتة .
كنا في دعوة غداء هناك . وبعد الغداء جلسنا في
حلقة ضيقة ومعنا نفر من كبار الموظفين في وزارة
الخارجية . وفيما نحن مستغرقون في الحديث اخرج موظف
منهم ذو شأن ساعته وقال : أرجو ان تسمحوا لي

بالانسحاب ، فالساعة الآن الثالثة الا خمس دقائق ، ويجب ان اكون في الدائرة في الساعة الثالثة تماماً . ولما نهض نهض من كان معه ، ولم يبق حولنا الا اعضاء المؤتمر والضيوف بمن ليسوا بموظفين .

ان الاصلاح عمل الحاكمين في الحكومين لا عمل الحكومين في الحاكمين . ونحن ننتظر من العلماء ان يعلموا الجهال لا من الجهال ان يعلموا العلماء . والمعقول ان يقوم الاطباء بشفاء المرضى لا ان يترك للمرضى أمر العناية بالاطباء .

*

من اجل هذه النية الصادقة وتلك الجهود المبذولة هنالك باخلاص كان القائد الاعظم محمد علي جناح مؤسس دولة الباكستان ورئيسها الاول على حق حينما قال : ان دولة الباكستان ولدت لتعيش ، وستعيش !

٢١ جمادى الثانية ١٣٧٠ .

٣٠ آذار ١٩٥١ .

فهرست الكتاب

صفحة

٣	الاهداء
٥	الكلمة الاولى
٧	١ - نحن العرب - الشرق الذي تغير - مدينة كراتشي
١٢	٢ - هم يعرفون ما هم فيه (قصة الباكستان)
٢٧	٣ - قسمة ضيزى (قصة التقسيم وقضايا اللاجئين)
٣٨	٤ - حكومة تريد ان تنشئ دولة
٤٧	٥ - سياج الوطن (الجيش والاسطول)
٥٢	٦ - الاسلام اساس الحياة
٥٨	٧ - شقائق الرجال وأمّهات الابطال
٧٠	٨ - تراث الاستعمار (الفقر والجهل والمرض)
٧٥	٩ - حيدر آباد وكشمير
٨٧	١٠ - الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي
١١٠	١١ - طريق مغروسة بالشوك ولكن....

للمؤلف

الشمخ

- ٤٠ - ١ - الحجاج بن يوسف (الطبعة الثانية)
- ٧٥ - ٢ - عمر ابن ابي ربيعة (الطبعة الثانية)
- ٤٠ - ٣ - عبد الله بن المقفع (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ - ٤ - الرسائل والمقامات (الطبعة الثانية)
- ٥٠ - ٥ - ابن الرومي (الطبعة الثانية)
- ٦٠ - ٦ - احمد شوقي (الطبعة الثانية)
- ٥٠ - ٧ - ابن خلدون (الطبعة الثانية)
- ٨ - ٨ - اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة
الاوروبية (الطبعة الثانية)
- ١٢٥ - ٩ - شعراء البلاط الاموي (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ - ١٠ - الفارابيان : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية)
- ١١ - ١١ - اربعة ادياء معاصرون (الطبعة الثانية)
- ١٥٠ - ١٢ - خمسة شعراء جاهليون
- ١٢٥ - ١٣ - بشار بن برد (الطبعة الثانية)
- ٥٠ - ١٤ - نهج البلاغة
- ٢٥٠ - ١٥ - اخوان الصفا

- ١٠٠ - ١٦ - ابن باجه
١٢٥ - ١٧ - ابن طفيل
٢٠٠ - ١٨ - التصوف في الاسلام
١٥٠ - ١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب
١٠٠ - ٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية
١٥٠ ابو نواس : دراسة ونقد (الطبعة الثالثة)
٥٠ ابو نواس : مختارات
١٠٠ ابو تمام
٢٠٠ حكيم المعرفة (الطبعة الثانية)
٣٠٠ عبقرية العرب في العلم والفلسفة
١٥٠ الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الثانية)
١٠٠ نحو التعاون العربي
دفاعاً عن العلم (نقد)
٥٠ دفاعاً عن الوطن
٢٥ الاسئلة الثلاثة (مشهد تمثيلي مدرسي)
٦٠٠ Das Bild des Frühislam in
der arabischen Dichtung
von der Higma bis zum Tode
'Umars, 1 - 23 d. H. (622 - 644 n. Ch.
Leipzig 1937.

پاکستان - دولة ستعيش ١٥٠



مكتبة لسان العرب

أ. علاء الدين شوقي

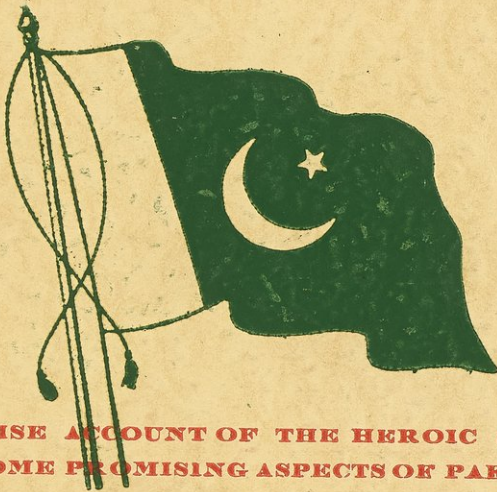
www.lisanarb.com



IN ARABIC

PAKISTAN

A STATE THAT WILL LIVE



**A CONCISE ACCOUNT OF THE HEROIC STORY
& OF SOME PROMISING ASPECTS OF PAKISTAN**

BY

DR. PHIL. OMAR A. FARRUKH

Member of the Arab Academy, Damascus ;

Member of the Islamic Research Association, Bombay.

Dar - ul - Kashaf — Beirut